مديح الظل العالي

عنوان الكتاب : مديح الظل العالي
المؤلف : محمود درويش
تقديم : أ.د. حسين جمعة
اختيار : مالك صقور
سلسلة الكتاب الشهري (كتاب الجيب) رقم/81/ شباط
الناشر : اتحاد الكتاب العرب
الإخراج الفني : وفاء الساطي

الحقوق محفوظة

لاتحاد الكتاب العرب

البريد الالكتروني: E-mail: aru@net.sy

موقع اتحاد الكتاب العرب على شبكة الإنترنت
http://www.awu.sy

محمود درويش

مديح الظل العالي

تقديم: أ. د. حسين جمعة
اختيار : مالك صقور

سلسلة الكتاب الشهري (كتاب الجيب) رقم (81)

في حضرة مديح الظل العالي

أ.د. حسين جمعة

تقديم:

هذه هي المرة الثانية التي نتوقف فيها عند الشاعر العربي الكبير (محمود درويش) على الصعيد الشخصي وعلى صعيد سلسلة كتاب الجيب؛ إذ كنا أصدرنا العدد (30) لعام (2009م) وقدّمنا له، في مختارات شعرية للقارئ العربي. ثم وقفنا عنده وقفة مطولة في كتابنا (قضايا ومبدعون ـ 179 ـ 218)[1]، وكذلك ظهرت حوله دراسات وكتب شتى منها كتاب (محمود درويش، حالة شعرية)

[1] صدر عن اتحاد الكتاب العرب ـ دمشق ـ 2012م.

للدكتور صلاح فضل ـ صدر عن الدار المصرية اللبنانية ـ بيروت ـ 2013م، وتناول فيه بيئة الشاعر وسيرته، وقد عرض الفصل الأول لشعرية العشق، والثاني لتحولات الشاعر التي خرجت من شكل إلى شكل والثالث لقراءات نصوص شعرية، أشار فيها إلى حالات الحصار والدراما والحداثة... وهناك كتاب آخر بعنوان "شعر محمود درويش... إيديولوجيا السياسة وإيديولوجيا الشعر) للدكتور شكري عزيز ماضي ـ صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ـ 2013م. وتناول فيه تجربة الشاعر محذراً القراء والدارسين من تحويله إلى أسطورة، وعرض فيه لجدلية الشعر والحرية، ما جعل شعره يتحرر من التكرار، وغاص في تجربة الشاعر السياسية والشعرية، ولم ينس تناول الحداثة لديه.

أما كتاب (أنا الموقع أدناه محمود درويش) فهو عبارة عن اثني عشر سؤالاً مكتوباً كانت صديقته (إيفانا مرشليان) قد طرحتها عليه في باريس، وأودعتها عنده حتى

أجابها عليها ووقع في ذيلها، وأوصاها أن تعلنها بعد خمس سنوات من موته، ثم صدرت عن (دار الساقي ـ بيروت ـ 2013م). وتشتمل الأسئلة على آراء الشاعر في عدد من القضايا، كالشعر والقناع والموروث والحرية....

وهناك كتاب آخر جمع مراثي الشاعر في أصدقائه بعنوان "محمود درويش يكسر إطار الصورة ويذهب" جمعها سمير الزين ـ وصدرت عن دار كنعان بدمشق ـ 2013م. ومن الشعراء المرثيّين (معين بسيسو، وتوفيق زياد، ونزار قباني، ومحمد الماغوط) وغيرهم كما رثى الرئيس الفلسطيني (ياسر عرفات) والباحث المفكر (إدوارد سعيد)....

وفي هذا المقام لا ننسى الكتاب الذي سبق هذه الكتب عام (2011م) والصادر بدمشق عن الهيئة العامة السورية للكتاب للدكتور يوسف حطيني بعنوان "الزمن عند الشاعر محمود درويش". وقسّمه إلى خمسة فصول تتبع فيها الحكايات التي تناولتها قصائد الشاعر، وتناول البناء

الـدرامي للقـصيدة مـن خـلال الـسرد الـشعري؛ وتعـرض للشخصيات وغيرها مبرزاً مكانة (الأنا) عنده... ولم ينسَ أن يتناول الإيقاع وأسرار الكلمات التي توحي بمآسي الأمة.

ولا نريد أن نستفيض في هذا الاتجاه؛ وحسبنا ما أثرناه لنؤكد مدى انشغال الدارسين بهذه القامة الإبداعية، وهو المنهج الذي فرض علينا الإشارة السريعة إلى ولادته ووفاته.

❖ ـ ولادته ووفاته

ولد في قرية (البِرْوَة) عام (1941) وترجَّل عن صهوة الشعر في "الساعة العاشرة من مساء السبت (2008/8/9م) في مشفى (هيوستن) بولاية تكساس الأمريكية. ثم نقل جثمانه إلى وطنه وضمّه تراب فلسطين في تلة جنوب (رام الله) في (2008/8/13م) بعد أن مُزج بتراب قريته (البروة) الذي جلب منها ونثرته يد والدته الحانية على قبره، الذي أحيط بثلاث شجرات من النخيل، وعشرات من الليمون

ونقش على شاهدة قبره قوله: على هذه الأرض، سيدة الأرض، ما يستحق الحياة"[1].

❖ مكانة محمود درويش:

يعد الشاعر الراحل محمود درويش واحداً من كبار الشعراء العرب المعاصرين الذين تركوا بصمة شعرية خاصة على صعيد بنية النص وشاعريتها، وعلى صعيد فن الإلقاء الجذاب والمثير... فهو أحد أولئك الذين امتلكوا موهبة خاصة في هذا الجانب فضلاً عن نبرة الصوت وحجمه وكثافته، وكلها كانت قريبة إلى القلوب والأسماع وتعد قصيدة (مديح الظل العالي) من أبرز القصائد المنبرية.

فالشاعر لم يتربع على عرش الإبداع بظلّه السياسي الذي صار مدار نقاش لدى الدارسين، بين مؤيد ومعارض؛ إذ ذهب قسم منهم بعيداً في النيل من الشاعر... ولكنه تربع على عرش الإبداع بقدرة الموهبة الشعرية وكثافة التجربة

---

[1] انظر قضايا ومبدعون 181.

الثقافية، وصنعة التثقيف التي نقلته إلى مصاف الشعراء الكبار الذين انتزعوا الإعجاب والاحترام بما تركوه من أساليب شعرية عبَّرت عن شخصياتهم بمثل ما عبَّرت عن قضايا الوطن والأمة... وحينما استغرق ديوانه الكبير مواضيع كثيرة كانت قضية الأرض الفلسطينية المغتصبة في طليعة تلك المواضيع... وقد دفعته هذه القضية إلى التحليق في فضاء موضوعات متعلقة بها، أو ناتجة عنها، وقدّمها بأسلوب شفاف وجذاب كما نراه في ديوانه (مديح الظل العالي) الذي نقدمه في هذا الكتاب.

❖ ـ قراءة في مديح الظل العالي:

ديوان (مديح الظل العالي) عبارة عن قصيدة واحدة توزعت على مقاطع متعددة انتظمت على البحر الكامل[1] ونظمها عام (1983م) مسجلاً فيها جملة من الأحداث التي تنبأ بها في قصيدته (بيروت) التي نظمها عام (1981م)؛ إذ

---

[1] انظر ديوان محمود درويش 347 ـ 381.

تنبأ باستباحة الجيش الصهيوني لبيروت، وترحيل المقاومة الفلسطينية منها... وهذا ما حدث منذ حزيران حتى أيلول عام (1982م) حيث اجتاح الجيش الصهيوني بيروت من دون أن يرفّ جفن لعدد من الأنظمة العربية... وكان هذا الاجتياح الأول من نوعه لعاصمة عربية لم يقع مثيل له في غيرها بما فيها (القدس) التي قُضمت شيئاً فشيئاً وعلى مرحلتين منذ عام النكبة (1948م) وعام النكسة (1967م). ولذلك كانت القصيدة وثيقة تسجيلية لما حدث كله؛ في الوقت الذي جَسَّدت رفض العنقاء الفلسطينية كل أشكال الموت والهزيمة والذوبان... وكذلك تطوف مقاطع القصيدة ردّاً على عبثية الدعوة إلى التطبيع والاستسلام ما يعني أنها رفض لكل دعوات الإذلال والركوع؛ والانهيار أمام جدار الزمن... فالشاعر يعبر عن مقاومة الأفكار التي ترددها الدولة الصهيونية حول حدودها التي تنتهي حيث تصل إليها أقدام جنودها. ومن ثم فهو في ذلك لا ينطلق من الواقع فحسب وإنما يتخذ العقائد الدينية منطلقاً إلى بيان حقيقة

العـدو الـصهيوني المتـوحش الـذي يتلـذذ بقربانـه العربـي، ويلوكه ثم يرميه، في الوقت الذي يرتدي ثوب البراءة كما يعـبر عنـه في مقطـع مـثير يتنـاول قـصة فطـير صـهيون مـن القصيدة حيث يقول:

أتموتُ في بيروت - لا تُولم لبيروت الرغيف - عليك أن تجد انتظاري

في أناشيد التلاميذ الصغار وفي فراري

من حديقتنا الصغيرة في اتجاه البحر -

لا تولمْ لبيروت النبيذ - عليك أن ترمي غباري

عن جبينكَ، أن تدثرني بما أُلِفَتْ يداك من الحجارة

أن تموت كما يموت الميتون

وأن تنام إلى الأبدْ

وإلى الأبدْ...

إن الحقـل التـاريخي يـذكرنا بجـرائم الـصهاينة الـذين يقتلـون الأطفـال ويـستحلبون دمـاءهم ليُـصنَع منـه فطـير لعتـاة

القتلة من المتطرفين اليهود، وقد تحول الخطاب الشعري عن اللغة المباشرة وقدّم للصورة الشعرية انزياحاً لغوياً بلاغياً يحفل بالإشارات الرمزية إلى ذلك الحقل المروّع... فالابتكار الشعري المستند إلى الرمز والتأويل البعيد أكسب هذا المقطع إمتاعاً جمالياً لا نظير له...

وكذلك تتنوع التجربة الشعرية في إطار الرؤيا الكاشفة التي تنسجها اللغة مع الصورة، وهي تعبر عن الذات الجمعية لكل ما حدث لبيروت من مآسٍ في أسلوب أبعد ما يكون عن مفهوم التوثيق اليومي الذي عرفناه عند عدد من الشعراء، أسلوبٍ يعتمد جوهر الأسئلة الضمنية التي يطرحها المواطن العربي في داخله عن كل ما يقلقه ويثير شجونه تجاه قضاياه الوطنية القومية.

إن ما كتبه الشاعر الكبير (محمود درويش) كان يجسد رغباته التي استوطن فيها، وهي رغبات مشروعة وليست مرضية ولا مجانية رغبات تهزم الأوهام العبثية لدعاة الاستسلام... رغبات تبث روح الثورة في نفوس أبناء المنافي

والشتات لئلا يسقطوا في مفاهيم الجبن والخوف والتلاشي... أي إن الشعب الفلسطيني قادر على الوقوف في وجه الغزاة والمنهزمين والمرجفين، ويمكنه أن يجدّد ذاته مرة بعد مرة... وهذا ما كان حقاً حين فجّر انتفاضته الشعبية العارمة في وجه العدو الاستيطاني العنصري عام (1987م).

ومن ثم لا نستغرب تركيزه في غير ما قصيدة على المكان/ الأرض ـ فلسطين وإبراز عنصر التشبث بها في بلاغة تصويرية بديعة نستطيع أن نقول عنها: إنها بلاغة المكان وكذا رأينا في ديوانه هذا وهو يعبر عن تلك العلاقة بينه وبين فلسطين (الأرض والشعب) التي تعلّق قلبه بها، فهو ما يئس ولا أصابته نزعة التشاؤم على عظمة الألم الذي يكابده كما نراه في قوله: (ص92):

وطني حقيبة
وحقيبتي وطن الفجر
شعب يخيم في الأغاني والدخانْ
شعب يفتش عن مكانْ
بين الشظايا والمطر.

وإذا كان الشاعر يخشى ضياع فلسطين كما ضاعت الأندلس فإنه ينادي العرب والعروبة ليبلل شفته بريق الأمل فيقول(ص94):

وطني حقيبة
من جلد أحبابي
وأندلس القريبة
وطني على كتفي
بقايا الأرض في جسد العروبة.

فهو يستفز في لغته المتمردة روح السخرية مما آلت إليه الحال ويبكيها نشيجاً حيث يقول(98):

هذا دمي يا أهل لبنان ارسموه
قمراً على ليل العَرَبْ
هذا دمي ـ دمكم خذوه ووزعوهْ
شجراً على رمل العرب
هذا نشيجي... مزقوه وبعثروهْ
مطراً على أرض العرب.

ومن يمعن النظر في هذا الشعر يدرك أن الشاعر لم يصرخ صرخته المباغتة (يا أهل لبنان...) وإنما جعلها صرخة الألم التي تتحدى اليأس، وتنظر إلى الغد بعين متفائلة... فهو يقرأ التاريخ في صميم قوة الاندفاع نحو ما فيه صالح الإنسان المقاوم، ويصوغ الحياة وفق هذا الاتجاه، ولهذا نجده يستشعر روح المحبة والغيرة على أمته وقضيته... فهو لا يبدو شامتاً بما آلت إليه الأحداث، ولا يتشفى من الحال المزرية وإنما يبدي حزناً ممضاً يجرعه الحرقة فلا يملك إلا الكلمة التي يستنهض بها أبناء قومه على شدّة إيلامها... فهو يرى أنه من دون حب الأرض والوطن لا تكون التضحيات، ومن دون التضحيات سيعيش العرب في موت سريري يتجرعون فيه الذل والمهانة... فهو لا يبيع أمته الأحلام الزائفة، ولا تنزلق كلماته إلى العدم والفراغ وإنما يركز على تجربة الصراع الأزلي بين الحق والباطل، ويتمسك برمزية المطر الذي ينبت العشب والخضرة في أرض العرب... فالوطن العربي ليس وطناً للبغي والظلم؛ وإنما هو وطن الإنسان الذي يدافع عن

وجوده وكرامته. ومن ثم فإذا كان الجندي العربي يدافع عن وطنه بالبندقية وغيرها فإن شاعرنا يرفع كلمته المقاومة ليزهر الزمن العربي في ظلام الحدث القاتل.. فهو ما يزال يحلم بغد الأمة ولا يحني جبهته العالية أمام الغرباء الذين مزقوا أرضه وعاثوا فيها فساداً... هذا ما نادى به (بيروت) الصامدة في وجه آلة التدمير الصهيونية عام (1981م) إذ قال: [1]

لنصيح في شبه الجزيرة:

بيروت خيمتنا الأخيرة

بيروت نجمتنا الأخيرة

أفق

رصاصي تناثر في الأفق

طرق من الصدف المجوف... لا طرق

---

[1] انظر القصيدة كاملة في كتاب (محمود درويش. مختارات شعرية. رقم 30. اتحاد الكتاب العرب. دمشق. 2009م. ص 63).

ومن المحيط إلى الجحيم...

ومن ثم يقول في مقطع آخر:[1]

هل تعرف القتلى جميعاً؟!!

والذين سيولدون...

سيولدون تحت الشجر

وسيولدون تحت المطر

وسيولدون من الحجر

وسيولدون من الشظايا

فلا غرابة بعد ذلك كله أن ينادي في قصيدته (مديح الظل العالي) ابن أمّه، بوصفه حبة القمح التي ترمز إلى النماء والديمومة والصفاء قائلاً له: (ص17 ـ 18).

وعليك أن تحيا، وأن تحيا

---

[1] انظر المرجع السابق 73.

وأن تعطي مقابل حبة الزيتون جلدك

كم كنت وحدك

لا شيء يكسرنا فلا تغرق تماماً

في ما تبقى من دم فينا

لذهب داخل الروح المحاصر بالتشابه واليتامى

يا ابن الهواء الصلب،

يا ابن اللفظة الأولى على الجزر القديمة،

يا ابن سيّدة البحيرات البعيدة؛

يا ابن من يحمي القدامى من الوريد إلى الوريد...

إن استعادة أسرار هذا المقطع الشعري المثير توحي بأن الإنسان المقاوم قادر على صياغة الحياة من جديد، وقادر على النهوض من تحت الرماد، نافضاً عن نفسه كل أشكال التأرجح بين الآراء المضطربة، أو المواقف غير الدقيقة. فخطاب الشاعر إلى الإنسان المقاوم - وهو يخص العربي فيه - فإنما يخاطب فيه الوجود /الأرض/ الوطن/ الكرامة/ السيادة، ويرفض له الاستسلام والإذلال،

فالحياة ما وجدت إلا ليحيا الإنسان في سموّ دائم، وعلى المقاوم النبيل والكريم أن يسحب ظله من بلاط الحاكم العربي الذي جهد أن يكسر رمح ذلك المقاوم، ولذلك قال:

كم كنت وحدك

هي هجرةٌ أخرى

فلا تكتب وصيتكَ الأخيرة والسلاما

سقط السقوط وأنت تعلو

فكرةً

ويداً

...وشاما!!

لا برَّ إلا ساعداك

لا بحر إلا الغامض الكحلي فيكْ

فتقمصِ الأشياء كي تتقمص الأشياء خطوتك الحراما

واسحب ظلالك عن بلاط الحاكم العربيّ حتى لا يعلّقها وساما

وإذا كان السفاح أرئيل شارون (1928 ـ2014/1/11م) ـ رئيس وزراء الكيان الصهيوني، سابقاً ـ قد رحل بعد موت سريري دام نحو ثماني سنوات ـ وهذا الموت عوّض عن غياب العدالة القانونية ـ فإن مجازره في بيروت (وبخاصة صبرا وشاتيلا) مازالت ماثلة في عقول من شهدها أو شاهدها أو سمع بها؛ فقد كانت كابوساً دموياً بحق الأبرياء في بيروت... وهي التي أثارت شاعرنا الكبير فكتب هذه القصيدة التي تختزن في ذاتها قبح الجريمة التي ارتكبها الجيش الصهيوني؛ وعبرت عن قبح ردود الفعل التي عالج فيها الحكام العرب ذلك الاجتياح الهمجي، الذي أنتج فيما أنتجه رحيل المقاومة الفلسطينية إلى تونس وغيرها من دول العالم ـ كما أشرنا إليه سابقاً ـ فغدا اللجوء لجوءاً مركباً... ومن هنا كان الألم الذي اعتصر قلب محمود درويش فاتشحت قصيدته بالحزن والغضب، ما يعني أنها لم تكن صورة تعبيرية لنفسية مهزوم في المنافي؛ وإنما أيقظت فيها روح التمرد والتأسيس لفعل سياسي من نمط جديد؛

وفق ما جرى من بعد في مفاوضات أنتجت اتفاقية (أوسلو 1993/9/13م).

هكذا صاغ شاعرنا رؤاه الواقعية والحالمة في حداثة لغوية وإيقاعية وتصويرية تتلاقح على الدوام مع العبقرية الفذة التي تخلق مقاطع شعرية لا تشبه إلا ذاتها، وتبقى محمولة على استيلاد كل جديد.

ومن ثم نرى أن الحداثة الشعرية ليست صراخاً ولا عويلاً؛ ولا ثرثرة محمولة على لعبة اللغة أو الرموز الشديدة الإلغاز... فالحداثة الشعرية لدى محمود درويش تستجيب ـ بروح الإلهام والموهبة والثقافة والتنقيح ـ لقوة الواقع وتأثيره في صميم الالتزام بقضايا الوطن والأمة، وتؤكد صلتها بقوة التخيّل المتطورة والمستمدة من مخزون ثقافي نقدي وإبداعي يسهم في طبيعة الانزياح اللغوي والتصويري ليصل إلى بنية جمالية تعبيرية تضيء ملامحها من روح الكتابة الإبداعية المتألقة... وهو ما عبر عنه بنفسه حين قال: "إنني أقوم بتنمية طاقتي الإبداعية المستقلة عن أسباب شهرتي، وبعدم الوقوع

في أسر الخطوة الأولى التي قدمتني للناس، والتمرد على أشكالي القديمة بمحاولة التجديد المستمر للذات"... فحضور الحداثة ليست قطيعة مع الماضي تراثاً وأساطير، عادات وتقاليد وإنما هي تفاعل معه لإعادة إنتاجه وتوظيفه في التجربة الشعرية التي تحيل المتلقي على مرجعيات عدة... ثم إن تربة الحداثة الشعرية لديه تتنفس في مسارها الواقعي الذي يستظل بالثقافة المعاصرة واحتفالها بكل جديد من دون أن تفقد خصوصيتها العربية أو هويتها الذاتية العميقة. وقد تبين لنا أنه وضع القصيدة في حالة استلهام لكثير من المعطيات الثقافية التراثية والمعاصرة حتى صارت امتداداً لمسار النهوض والثورة لتخترق الزمان والمكان، وهو الذي انخرط في صنع الحلم الثوري الذي يرقب عملية الخلاص لشعب مقهور اغتصبت أرضه ومقدساته على مرأى من أولئك الذين يدّعون الحرية والديمقراطية.

كان محمود درويش يحتج على خيبات الأمل التي أصابت الشعب العربي وبخاصة حين فقد روح العدل

الإنساني... وكأنه في قصيدته (مديح الظل العالي) يرمز إلى البطل الفلسطيني الذي يعبر من باب القيم إلى المستقبل؛ وإن كانت قيماً محترقة... وحينما تنظر إلى هذه القصيدة المثيرة التي شكلت ديواناً كاملاً فإنها من جهة الطول أطول من أي قصيدة قديمة عرفناها في الشعر العربي، وإذا نظرنا إليها من جهة الإيقاع فهي منظومة على وزن الكامل وإيقاعاته القوية المتلاحقة وإن لم تنتظم في روي واحد أو قافية متماثلة؛... أما الموضوع فقد كان وحدة كلية ربط بنية القصيدة في لمسة شعرية خاصة ندر أن يصل إليها مبدع آخر؛ وما أعتقد أنه سيصل.

ومن ثم فحسبنا ما أثرناه في هذا التقديم، راجين أن ينتفع منه القارئ الكريم، بمثل ما انتفع بما قدّمناه من قبل.

وليس للإنسان إلا ما سعى.

دمشق ـ الجمعة 2014/2/21م

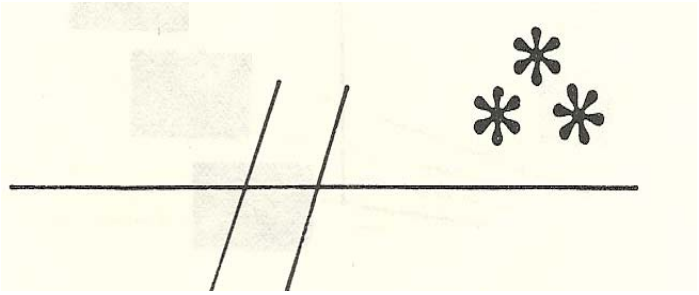

بحرٌ لأيلولَ الجديدِ. خريفُنا يدنو من الأبوابِ..

بحرٌ للنشيدِ المُرِّ. هيَّأنا لبيروتَ القصيدةَ كلَّها.

بحرٌ لمنتصفِ النهارِ.

بحرٌ لراياتِ الحمامِ، لظلِّنا، لسلاحنا الفرديِّ

بحرٌ، للزمانِ المستعارِ

ليديكَ، كمْ من موجةٍ سرقتْ يديكَ

من الإشارةِ وانتظاري

ضَعْ شكلنا للبحرِ. ضَعْ كيسَ العواصفِ عند أول صخرةٍ

واحملْ فراغَكَ.. وانكساري

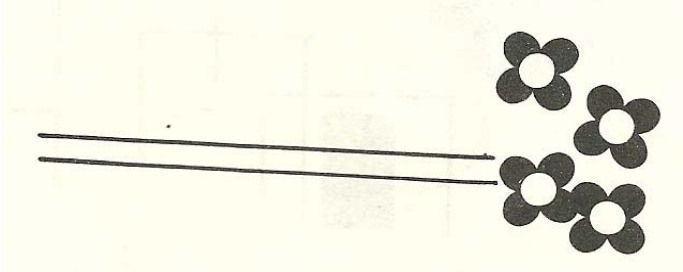

.. واستطاعَ القلبُ أن يرمي لنافذةٍ تحيَّتهُ الأخيرةَ،

واستطاع القلبُ أن يعوي، وأن يَعِدَ البراري

بالبكاء الحُرِّ..

بَحْرٌ جاهزٌ من أجلنا

دَعْ جسمك الدامي يُصَفِّق للخريفِ المُرِّ أجراساً.

ستتَّسعُ الصحاري

عمَّا قليلٍ.. حين ينقضُّ الفضاءُ على خطاكَ.

فرغتُ من شَغَفي ومن لهفي على الأحياء. أفرغتُ انفجاري

من ضحاياك، استندتُ على جدارٍ ساقطٍ في شارعِ الزلزال.

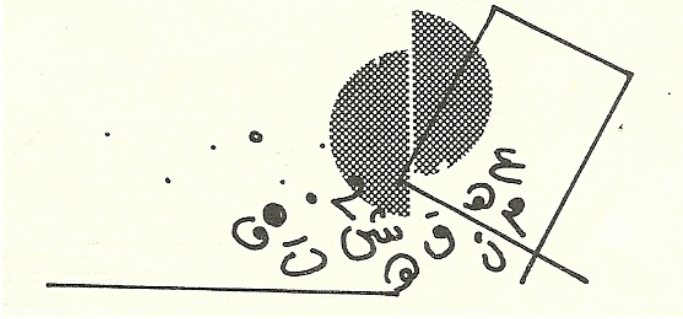

أَجْمَعُ صورتي من أجل موتكَ.

خُذْ بقاياكَ، اتخذني ساعداً في حضرة الأطلالِ. خُذْ قاموس ناري

وأنتصرْ

في وردةٍ تُرمى عليكَ من الدموعِ

ومن رغيفٍ يابسٍ، حافٍ، وعارِ

وانتصرْ في آخر التاريخِ.

لا تاريخَ إلاّ ما يؤرِّخه رحيلُكَ في انهياري

قُلنا لبيروت القصيدةَ كلُّها، قلنا لمنتصفِ النهارِ

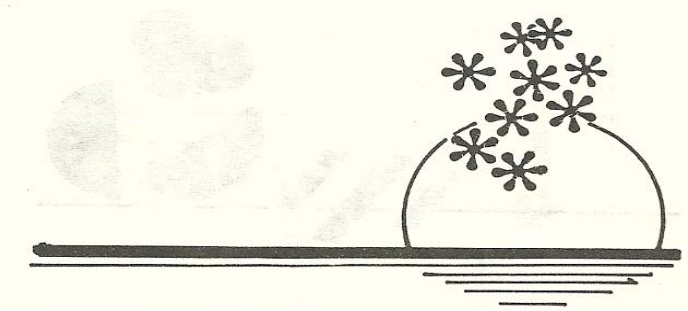

بيروت قلعتنا

بيروتُ دمعتُنا

ومفتاحٌ لهذا البحر. كُنَّا نقطة التكوينِ،

كنا وردة السور الطويلِ وما تبقَّى من جدارِ

ماذا تبقَّى منكَ غيرُ قصيدةِ الروحِ المحلِّقِ في الدخان قيامةً

وقيامةً بعد القيامةِ. خُذْ نُثاري

وانتصرْ في ما يُمَزِّق قلبكَ العاري،

ويجعلكَ انتشاراً للبذارِ

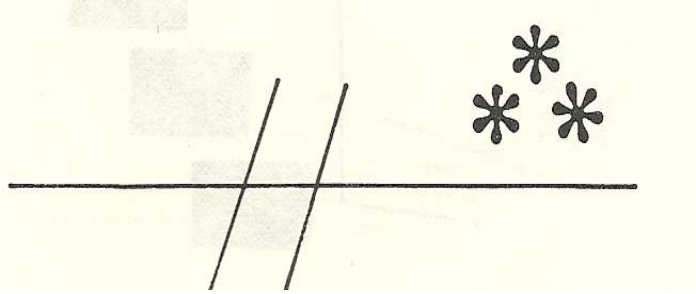

قوساً يَلُمُّ الأرضَ من أطرافها..

جَرَساً لما ينساهُ سُكّانُ القيامةِ من معانيكَ

انتصرْ،

إنَّ الصليب مجالُك الحيويُّ، مسراكَ الوحيدُ من الحصارِ إلى الحصارِ.

بحرٌ لأيلولَ الجديدِ. وأنتَ إيقاعُ الحديدِ تدقُّني سُحُباً على الصحراء،

فلتمطرْ

لأسحبَ هذه الأرضَ الصغيرةَ من إساري.

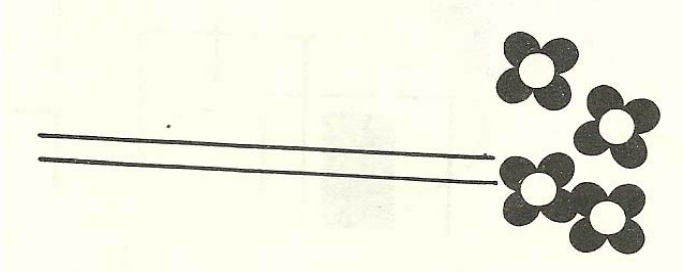

لا شيء يكسرنا ،

وتنكسر البلادُ على أصابعنا كفُخَّارٍ، وينكسرُ المسدَّسُ من تلهُّفِكَ.

انتصرْ، هذا الصباحَ، ووحِّد الراياتِ والأممَ الحزينةَ والفصولَ بكُلِّ ما أُوتيتَ من شبق الحياةِ،

بطلقةِ الطلقاتِ

باللاشيء.

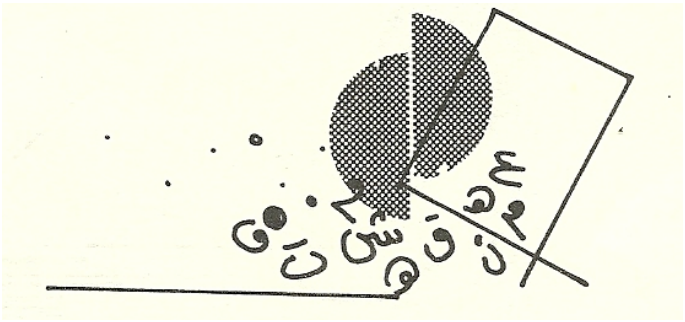

وحِّدنا بمعجزةٍ فلسطينيَّةٍ...

بيروت قصَّتُنا

بيروت غصَّتنا

وبيروت اختبارُ اللّهِ. جرَّبناكَ جربناكَ

من أَعطاك هذا اللُّغز؟ من سَمَّاكَ؟

من أَعلاك فوق جراحنا ليراكَ؟

فاظهرْ مثل عنقاء الرماد من الدمارِ!

*

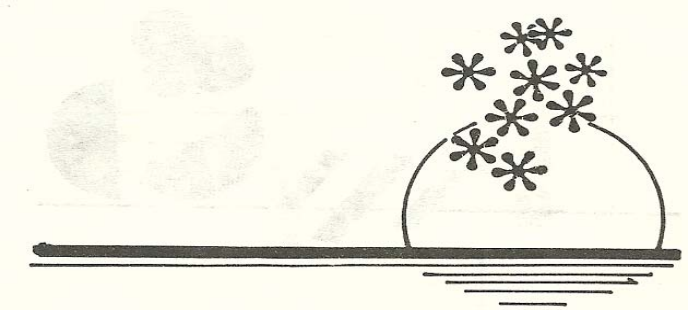

نَمْ يا حبيبي، ساعةً

لنمُرَّ من أحلامك الأولى إلى عطش البحار إلى البحارِ.

نَمْ ساعةً، نَمْ يا حبيبي ساعةً

حتى تتوب المجدليَّةُ مرة أخرى، ويتَّضحَ انتحاري.

نَمْ، يا حبيبي، ساعةً

حتى يعود الرومُ، حتى نطردَ الحرَّاسَ عن أَسوار قلعتنا،

وتنكسرَ الصواري.

نَمْ ساعةً. نَمْ يا حبيبي

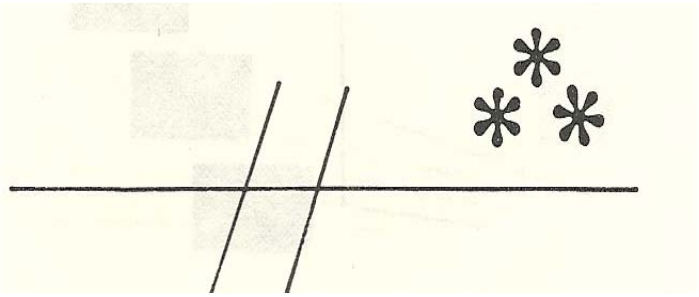

كي نصفّق لاغتصابِ نسائنا في شارع الشَّرف التِّجاري.

نَمْ يا حبيبي ساعةً، حتى نموتْ

هيَ ساعةٌ للانهيارِ،

هيَ ساعةٌ لوضوحنا

هيَ ساعةٌ لغموضِ ميلادِ النهارِ

*

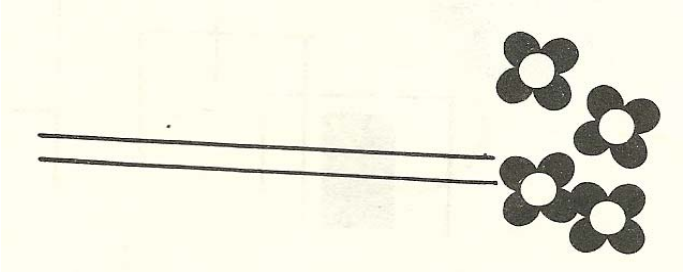

أَتموتُ في بيروت ـ لا تُولْم لبيروتَ الرغيفَ ـ عليكَ أن تجد
انتظاري
في أَناشيدِ التلاميذِ الصغارِ، وفي فراري
من حديقتنا الصغيرةِ في اتجاه البحرِ ـ
لا تُولِمْ لبيروتَ النبيذَ ـ عليك أن ترمي غباري
عن جبينكَ. أن تُدَثِّرني بما أَلِفَتْ يداك من الحجارةِ،
أَن تموت كما يموت الميتونَ،
وأَن تنامَ إلى الأبدْ

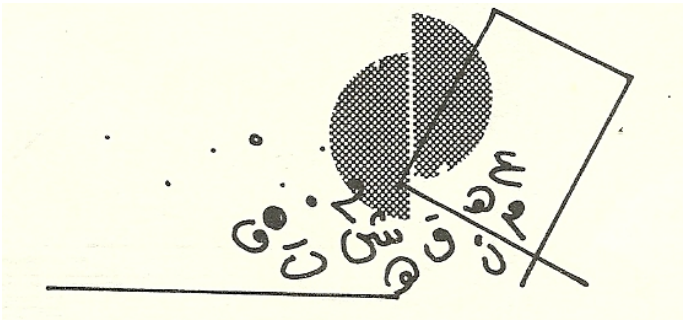

وإلى الأبدْ..

لاشيء يطلعُ من مرايا البحرِ في هذا الحصارِ، عليكَ أن تجدَ الجسدْ

في فكرة أُخرى، وأَن تجد البلدْ

في جُنَّةٍ أخرى، وأن تجد انفجاري

في مكان الانفجار.

أينما وَلَّيْتَ وجهكَ،

كلُّ شيء قابلٌ للانفجارِ.

*

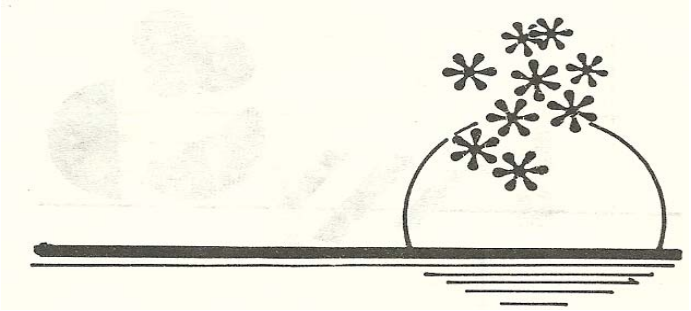

الآن بحرْ،

الآن بحرٌ كُلُّهُ بحرٌ،

وَمَنْ لا بحرَّ لَهْ.

والبحر صورتُنا

فلا تذهبْ تماما

هي هجرةٌ أخرى، فلا تذهبْ تماما

في ما تفتَّحَ من ربيعِ الأرضِ، في ما فجَّر الطيرانُ فينا

من ينابيعٍ. ولا تذهبْ تماما

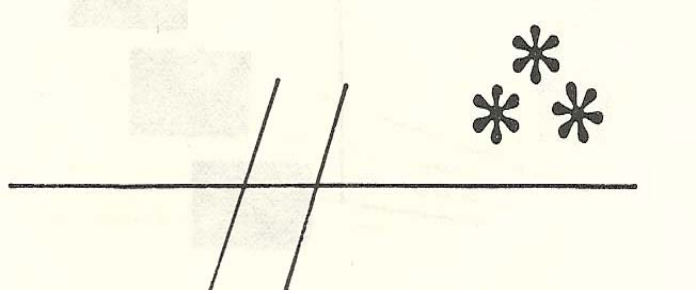

في شظايانا لتبحث عن نبيٍّ فيكَ ناما.

هي هجرةٌ أُخرى إلى ما لستُ أَعرفُ..

أَلفُ سَهْمٍ شَدَّ خاصرتي ليدفعني أَماما

لا شيء يكسرنا

ومَنْ أَدمى جبين الله، يا ابنَ الله، سَمَّاهُ، وأَنزلهُ كتاباً أو غماما.

*

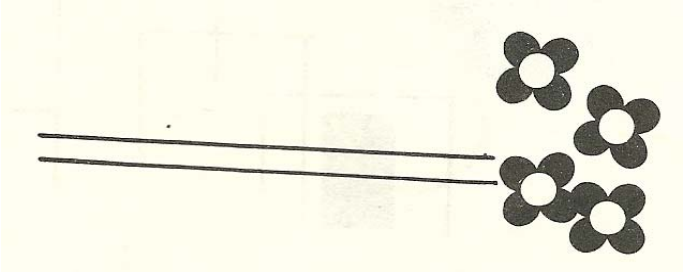

كمْ كُنْتَ وحدك، يا ابن أُمِّي،

يا ابنَ أكثرَ من أبٍ،

كم كُنْتَ وحدكْ

أَلقمحُ مُرٌّ في حقول الآخرينْ

والماءُ مالحْ

والغيم فولاذٌ. وهذا النجمُ جارحْ

وعليك أن تحيا وأن تحيا

وأَن تعطي مقابلَ حبَّةِ الزيتون جِلْدَكْ

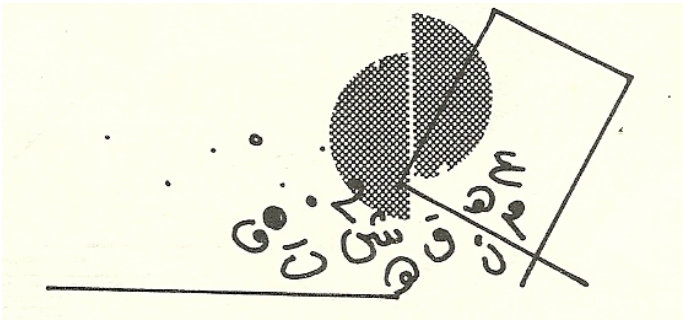

كَمْ كُنْتَ وحدكْ.

لا شيء يكسرنا ، فلا تغرقْ تماما

في ما تبقى من دمٍ فينا..

لِنَذْهَبْ داخلَ الروحِ المحاصرِ بالتشابهِ واليتامى

يا ابن الهواء الصَلْبِ، يا ابنَ اللفظةِ الأولى على الجزر

القديمةِ، يا ابنَ سيدةِ البحيرات البعيدةِ، يا ابنَ من يحمي

القُدامى

من خطيئتهم، ويطبع فوقَ وجهِ الصَّخر برقاً أو حماما.

*

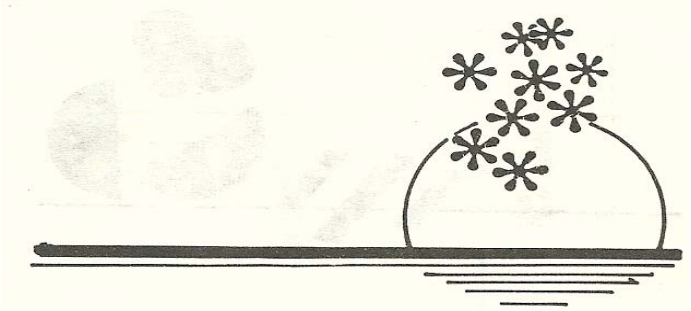

لحمي على الحيطان لحمُكَ، يا ابنَ أُمِّي
جَسَدٌ لأضرابِ الظلالْ
وعليك أن تمشي بلا طُرُقٍ
وراءً، أو أماماً، أو جنوباً أو شمالْ
وتحرِّكَ الخطواتِ بالميزانِ
حين يشاءُ مَنْ وهبوك قيدَكْ
ليزيِّنوك ويأخذوكَ إلى المعارض كي يرى الزُوَّار مجدَكْ.
كَمْ كنتَ وحدكْ!

*

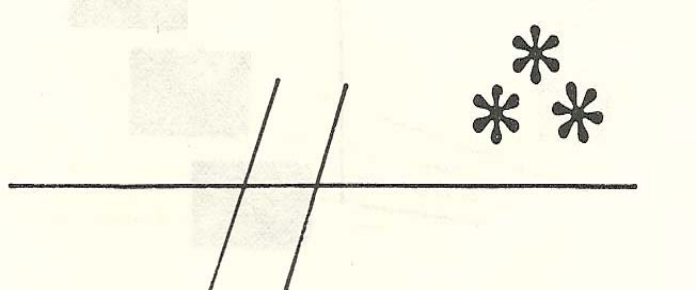

هي هجرةٌ أُخرى..

فلا تكتب وصيتكَ الأخيرةَ والسلاما

سَقَطَ السقوطُ، وأنت تعلو

فكرةً

ويداً

و.. شاما!

لا بَرَّ إلاّ ساعداكْ

لا بحرَ إلاَّ الغامضُ الكحليُّ فيكْ

فتقمَّصِ الأشياء كي تتقمَّصَ الأشياءُ خطوتَكَ الحراما

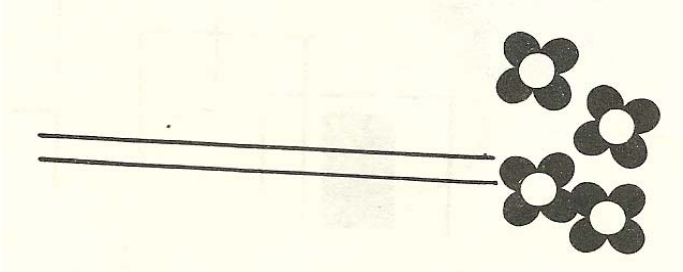

واسحبْ ظلالكَ عن بلاطِ الحاكمِ العربيِّ حتى لا يُعَلِّقها
وساما
واكسرْ ظلالك كُلَّها كيلا يمدُّوها بساطاً أو ظلاما

*

كسروكَ، كم كسروكَ كي يقفوا على ساقيك عرشا
وتقاسموك وأنكروك وخبَّؤوك وأنشؤوا ليديكَ جيشا
حطُّوك في حجرٍ.. وقالوا: لا تُسَلِّمْ
ورموك في بئرٍ.. وقالوا: لا تُسَلِّمْ

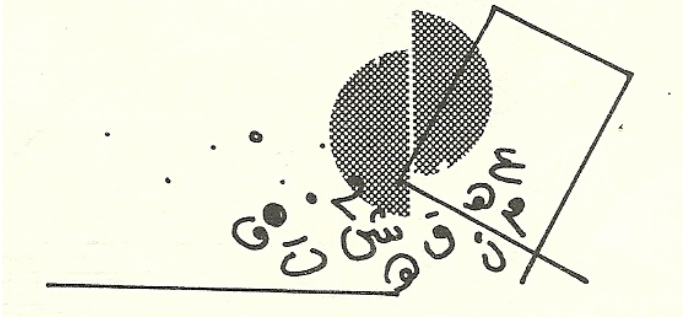

وأَطَلْتَ حربَكَ، يا ابن أُمِّي،

أَلف عامٍ ألفَ عامٍ ألفَ عامٍ في النهارِ.

فأنكروكَ لأنهم لا يعرفون سوى الخطابة والفرارِ

هم يسرقون الآن جلدكْ

فاحذرْ ملامحهم.. وغمدَكْ

كم كنتَ وحدكَ، يا ابن أُمِّي،

يا ابن أكثرَ مِنْ أَبٍ،

كَمْ كُنْتَ وحدكْ!.

والآن، والأشياءُ سَيِّدَةٌ، وهذا الصمتُ عالٍ كالذبابهْ

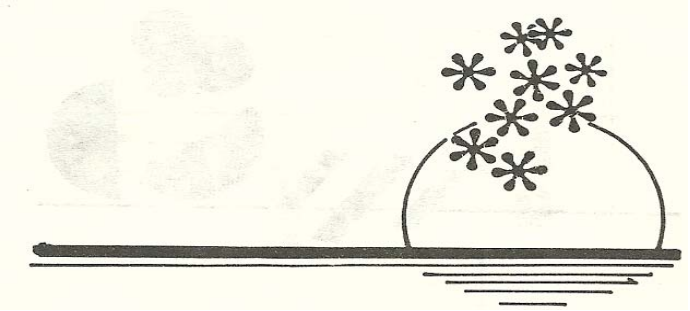

هل ندركُ المجهول فينا؟ هل نُغَنِّي مثلما كنا نُغَنِّي؟

سقطتْ قلاعٌ قبلَ هذا اليومِ، لكن الهواء الآن حامضْ

وحدي أدافعُ عن جدارٍ ليس لي

وحدي أدافع عن هواءٍ ليس لي

وحدي على سطح المدينة واقفٌ..

أَيُّوبُ ماتَ، وماتتِ العنقاءُ، وانصرفَ الصَّحابَهْ

وحدي.أَراود نفسيَ الثكلى فتأبى أن تساعدني على نفسي

ووحدي

كنتُ وحدي

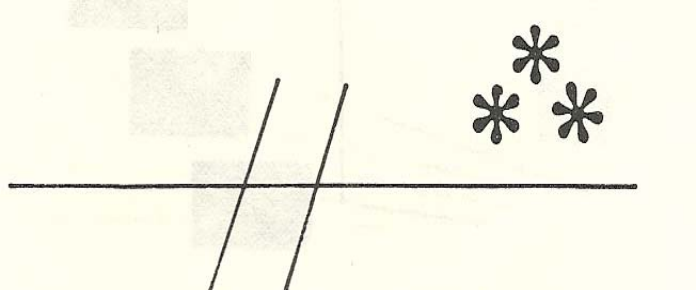

عندما قاومت وحدي

وحدةَ الروحِ الأخيرهْ..

*

لا تَذْكُرِ الموتى، فقد ماتوا فُرادى أَو.. عواصمْ

سأراك في قلبي غداً، سأراك في قلبي

وأجهشُ يا ابن أُمِّي باللُّغَهْ

لغةٍ تُفَتِّشُ عن بنيها، عن أَراضيها وراويها

تموتُ ككُلِّ مَنْ فيها، وتُرمى في المعاجمْ.

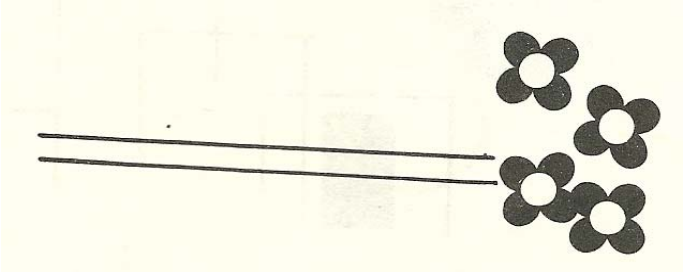

هي آخرُ النَّخل الهزيلِ وساعةُ الصحراءِ،

آخرُ ما يَدُلُّ على البقايا

كانوا، ولكنْ كُنْتَ وحدك

كم كنتَ وحدكَ تنتمي لقصيدتي، وتمدُّ زندكْ،

كي تُحوِّلها سَلالِمَ، أو بلاداً، أو خواتمْ

كَمْ كنتَ وحدكَ يا ابن أُمي

يا ابن أكثرَ من أبٍ

كَمْ كنتَ وحدكْ!..

والآن، والأشياءُ سَيِّدَةٌ، وهذا الصمت يأتينا سهاما

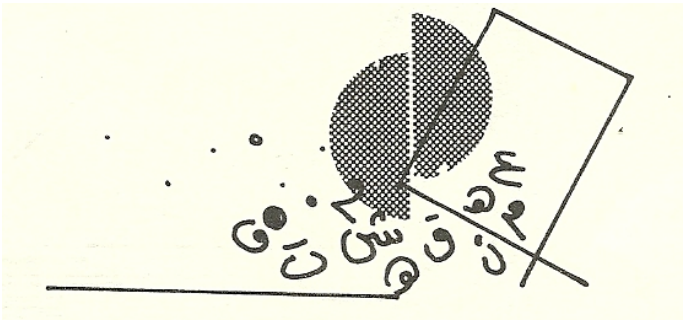

هل ندركُ المجهولَ فينا. هل نغني مثلما كنا نغنِّي؟

آه، يا دمنا الفضيحة، هل ستأتيهم غماما،

هذه أُمم تَمرُّ وتطبخ الأزهار في دمنا

وتزدادُ انقساما.

هذه أُممٌ تفتِّش عن إجازتها مِنَ الجَمَل المزخرفِ..

هذه الصحراءُ تكبر حولنا

صحراءُ من كل الجهاتْ

صحراءُ تأتينا لتلتهم القصيدةَ والحساما.

هل نختفي في ما يُفَسِّرُنا ويشبهنا

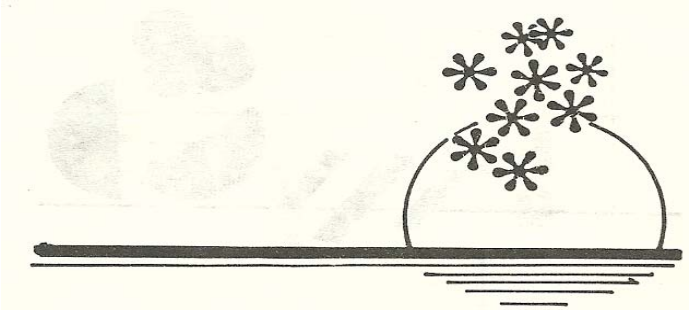

وهل.. هل نستطيعُ الموتَ في ميلادنا الكحليِّ

أَمْ:

نحتلُّ مئذنةً ونعلن في القبائلِ أَنَّ يثربَ أَجَّرتْ قرآنَها ليهودِ

خَيْبَرْ؟

اللّه أَكبْر

هذه آياتنا ، فاقرأْ

باسم الفدائيِّ الذي خَلَقَا

مِنْ جَزْمَةٍ أُفُقَا

باسم الفدائيِّ الذي يَرْحَلْ

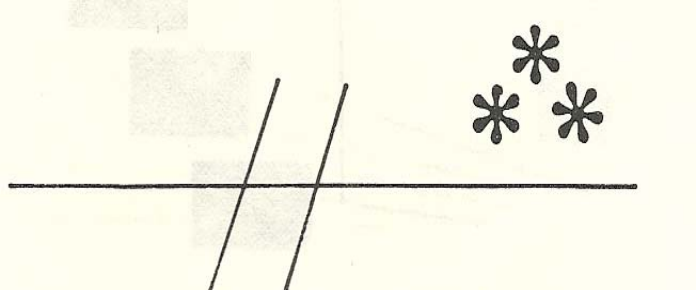

من وقتِكم.. لندائِهِ الأوَّلْ

الأوَّلِ الأوَّلْ

سَنُدَمِّرُ الهيكلْ.

باسم الفدائيِّ الذي يبدأْ

اقرأْ

بيروتُ ـ صُورتُنا

بيروتُ ـ سورتُنا

بيروت ـ لا

ظهري أمام البحرِ أسوارٌ و.. لا

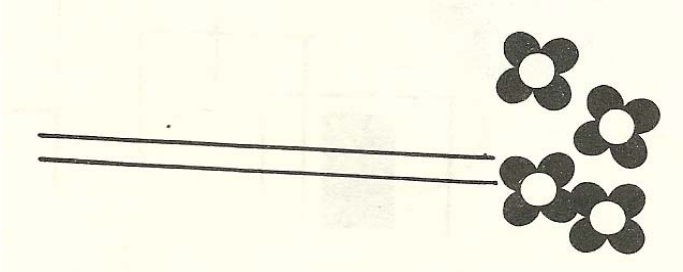

قد أَخسر الدنيا.. نَعَمْ!

قد أَخسرُ الكلماتِ..

لكني أَقول الآن: لا.

هي آخر الطلقاتِ ـ لا.

هي ما تبقَّى من هواء الأرضِ ـ لا

هي ما تبقَّى من نشيجِ الروحِ ـ لا

بيروت ـ لا.

*

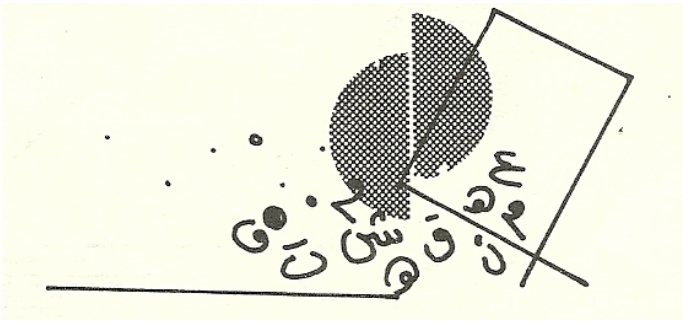

نامي قليلاً، يا ابنتي، نامي قليلا
الطائراتُ تعضُّني. وتعضُّ ما في القلب من عَسَلٍ
فنامي في طريق النحل، نامي
قبل أن أصحو قتيلا.
الطائراتُ تطير من غُرَفٍ مجاورةٍ إلى الحمَّامِ، فاضطجعي
على درجات هذا السُلّم الحجريِّ، وانتبهي إذا اقتربتْ
شظاياها كثيراً منكِ وارتجفي قليلا.
نامي قليلاً
كُنَّا نحبُّك، يا ابنتي،

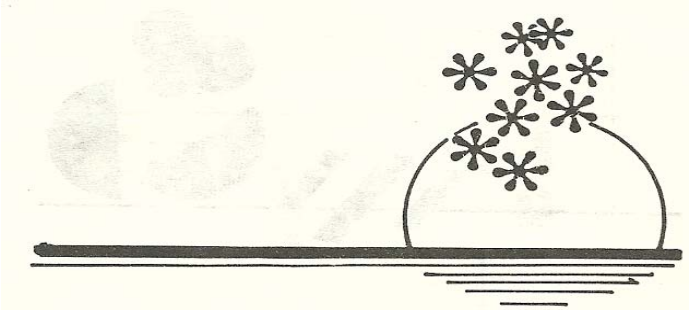

كنا نَعُدُّ على أَصابع كفِّك اليُسرى مسيرتَنا

ونُنْقِصُها رحيلا

نامي قليلا

الطائراتُ تطيرُ، والأشجارُ تهوي،

والمباني تخبز السُكَّانَ، فاختبئي بأُغنيتي الأخيرةِ، أو بطلقتي

الأخيرة، يا ابنتي

وتوسّديني كنتُ فحماً أَم نخيلا.

نامي قليلا.

وتَفَقَّدي أزهارَ جسمكِ،

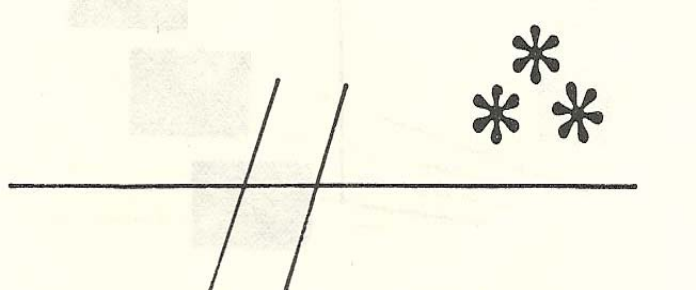

هل أُصيبتْ؟

واتركي كفِّي، وكأسَيْ شاينا ، ودعي الغَسيلا.

نامي قليلا.

لو أَستطيع أَعدتُ ترتيب الطبيعةِ:

ههنا صفصافة.. وهناك قلبي

ههنا قَمَرُ التردُّد

ههنا عصفورةٌ للانتباهِ

هناكَ نافذةٌ تعلِّمكِ الهديلا

شارع يرجوكِ أن تَبْقَي قليلا

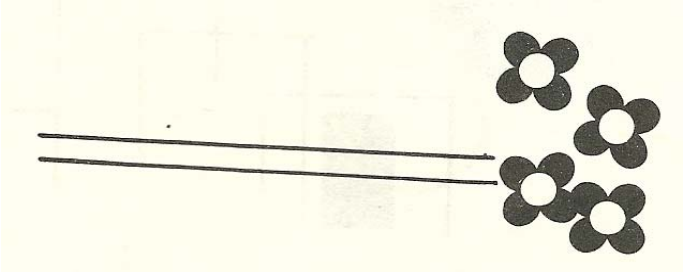

نامي قليلا

كُنَّا نحبكِ، يا ابنتي،

والآن، نعبدُ صمتَك العالي

ونرفعهُ كنائس من بَتُوْلا

هل كنتِ غاضبةً علينا، دون أن ندري.. وندري

آهِ مِنّا.. آهِ ماذا لو خَمَشْنا صُرَّةَ الأُفقِ

قد يَخْمِشُ الغرقى يداً تمتدُّ

كي تحمي من الغَرَقِ.

*

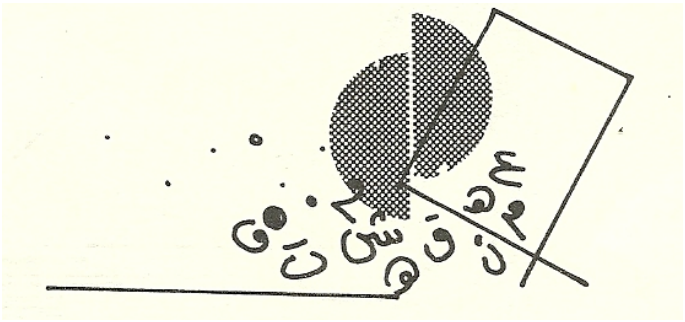

بيروت ـ لا

ظهري أمام البحر أسوارٌ و.. لا
قد أَخسر الدنيا ، نَعْمْ،
قد أَخسر الكلمات والذكرى
ولكني أَقول الآن: لا.
هي آخرُ الطلقاتِ ـ لا.
هي ما تبقَّى من هواء الأرض ـ لا.
هي ما تبقَّى من حطامِ الروحِ ـ لا.
بيروت ـ لا.

*

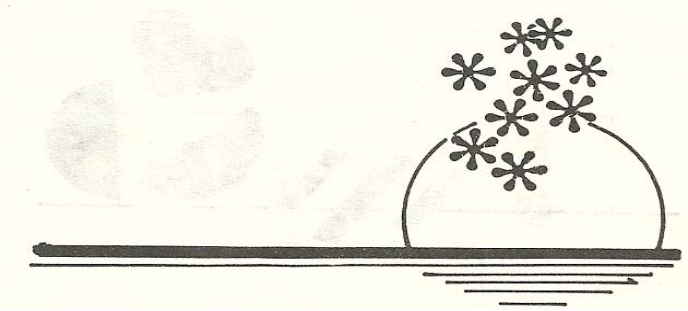

أَشلاؤنا أَسماؤنا. لا.. لا مَفَرُّ،

سقط القناعُ عن القناعِ عن القناعِ،

سقط القناعُ

لا إخوةٌ لك يا أَخي، لا أَصدقاءُ

يا صديقي، لا قلاعُ

لا الماءُ عندكَ، لا الدواء ولا السماء ولا الدماءُ ولا الشراعُ

ولا الأمامُ ولا الوراءُ.

حاصِرْ حصَارَكَ.. لا مفرُّ

سقطتْ ذراع فالتقطها

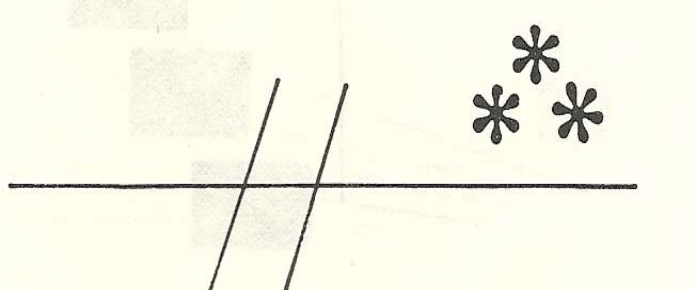

واضرب عَدُوَّك.. لا مفرُّ.

وسقطتُ قربك، فالتقطني

واضرب عدوكَ بي.. فأنت الآنَ حُرُّ

حُرٌّ

وحُرٌّ..

قتلاكَ، أو جرحاك فيك ذخيرةٌ

فاضربْ بها. إضربْ عدوَّكَ.. لا مَفَرُّ.

أَشلاؤنا أسماؤنا

حاصرْ حصارَك بالجنونِ

وبالجنونِ

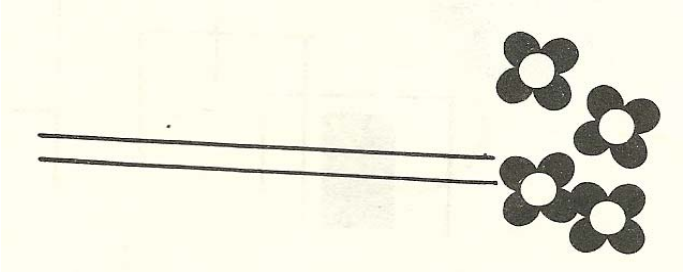

وبالجنونْ

ذهبَ الذين تحبُّهم، ذهبوا

فإمَّا أَن تكونْ

أَو لا تكونْ،

سقط القناعُ عن القناعِ عن القناعِ

سقط القناعُ

ولا أَحدْ

إلاَّك في هذا المدى المفتوح للأعداء والنسيانِ،

فاجعل كُلَّ متراسٍ بَلَدْ

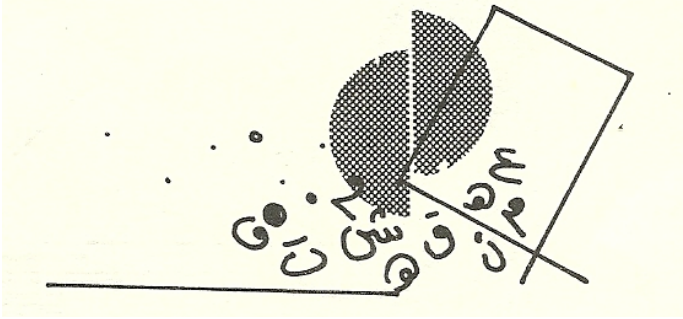

لا.. لا أَحَدْ

سقط القناعُ

عَرَبٌ أَطاعوا رَومَهم

عَرَبٌ وباعوا رُوْحَهُم

عَرَبٌ.. وضاعوا

سَقَطَ القناعُ

واللّهُ غَمَّسَ باسمك البحريِّ أَسبوعَ الولادةِ واستراحَ إلى الأَبَدْ

كُنّ أنتَ. كُنْ حتى يكونْ!

لا.. لا أَحَدْ

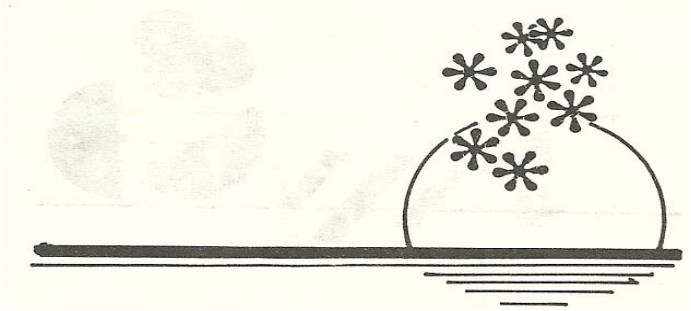

يا خالقي في هذه الساعاتِ من عَدَمٍ تَجَلَّ!

لعلَّ لي رَبّاً لأَعبدَهُ

لَعَلَّ!

علمتني الأسماءَ

لولا

هذهِ الدولُ اللَّقيطةُ لم تكنْ بيروت ثكلى!

بيروت ـ كلاّ.

بيروت ـ صورتُنا

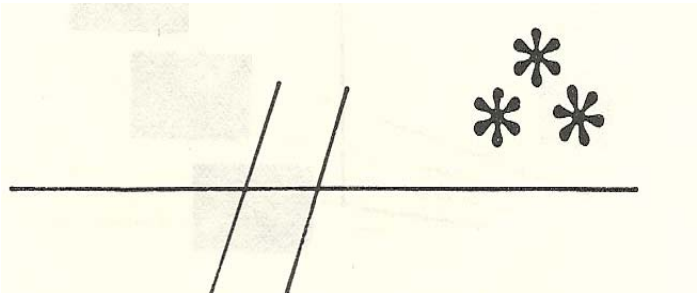

بيروت ـ سورتُنا

فإمَّا أَن نكونْ

أَو لا تكونْ.

*

أنا لا أُحُبكِ،

كم أحبكِ!

غيمتانِ أنا وأنتِ، وحارسان يُتَوِّجان الانتباهَ بصرخةٍ،

ويُمَدِّدان الليلَ حتى آخر الليلِ الأخير. أَقول حين أَقولُ

بيروتُ المدينةُ ليست امرأتي

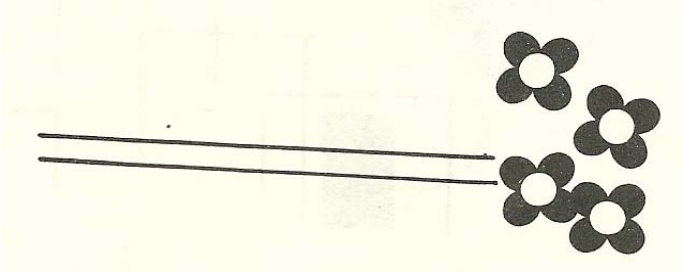

وبيروتُ المكانُ مُسَدَّسي الباقي

وبيروتُ الزمانُ هُوِيَّةُ "الآنِ" المضَّرجِ بالدخانِ

أَنا لا أُحُبكِ،

كم أحبكِ!

غمِّسي باسمي زهورَك وانثريها فوق من يمشي على جُثثي

ليتسع السَّرايْ

لا تسحبيني من بقاياكِ، اسحبيني من يديَّ ومن هوايْ

ولا تلوميني، ولومي مَنْ رآني سائراً كالعنكبوتِ على خطايْ

هل كانَ من حقِّي النزولً من البنفسجِ والتوهجُ في دمايْ؟

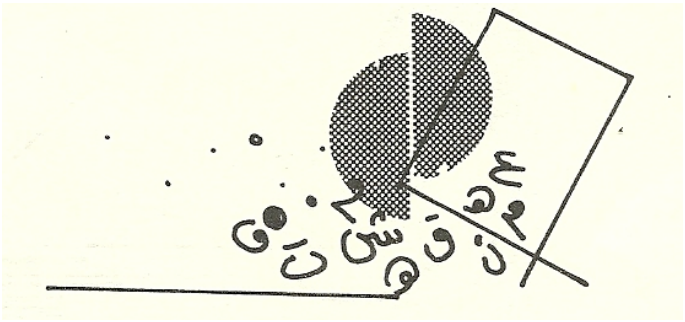

هل كان من حَقِّي عليكِ الموتُ فيكِ

لكي تصيري مريماً

وأصيرَ نايْ؟

هل كانَ من حقِّي الدفاعُ عن الأغاني

وهي تلجأ من زنازين الشعوب إلى خطاي

هل كان لي أنْ أطمئنَّ إلى رؤايَ

وأَن أُصدِّق أنِّ لي قمراً تُكوِّرُهُ يدايْ؟

صَدَّقْتُ ما صَدَّقتُ، لكنِّي سأمشي في خُطايْ.

أنا لا أُحبُّكِ

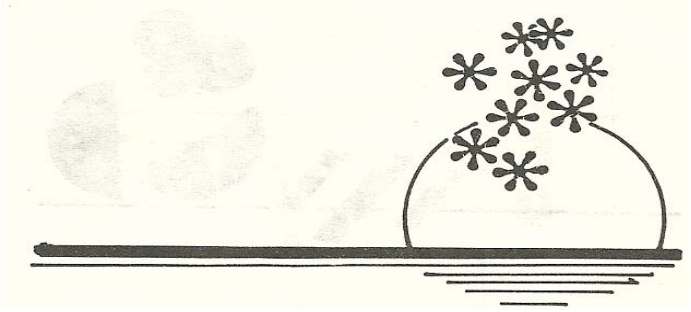

كَمْ أحُبُّكِ، كم أحبكِ، كَم سَنَهْ

أَعطيتني وأخذتِ عمري. كَمْ سَنَهْ

وأَنا أُسمِّيكِ الوداعَ، ولا أُودِّه غير نفسي. كم سَنَهْ

وَعَدُوكِ بالآتي وحينَ أتاكِ وأتاكِ الحنينْ إلى السفينةِ. كم سَنَهْ

لم تذكري قرطاجَ؟

هل كنا هواءً مالحاً كي تفتحي رئتيكِ للماضي،

وتبني هيكلَ القدسِ القديمةِ. كَمْ سَنَهْ

وعُدْوكِ باللغةِ الجديدةِ واستعادوا الميتين مع الجريمةِ.

هل أنا ألِفٌ، وباءٌ، للكتابةِ أَمْ لتفجير الهياكِلِ؟

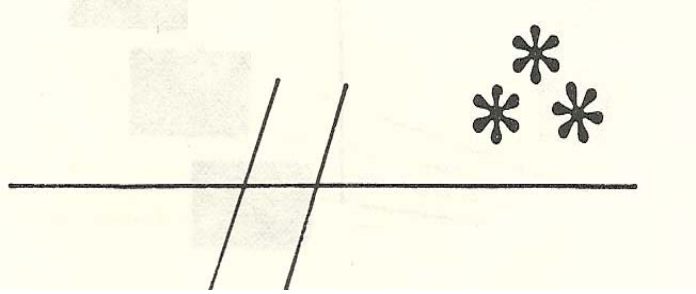

كَمْ سَنَهْ

كنا معاً طَوْقَ النجاةِ لقارَّةٍ محمولةٍ فوق السرابِ،

ودفتر الإعراب؟

كَمْ عَرَبٌ أَتَوْك ليصبحوا غَرْباً

وَكَمْ غَرْبٌ أَتاكِ ليدخلِ الإسلامَ من باب الصلاة على النبيِّ،

وسُنَّةِ النفطِ المُقَدّسِ؟ كَمْ سَنَهْ

وأَنا أصدِّقُ أن لي أُماً ستتبعني

وأنكِ تكذبين على الطبيعة والمسدَّس. كَمْ سَنَهْ، !

بيروت ـ منتصف اللغهْ

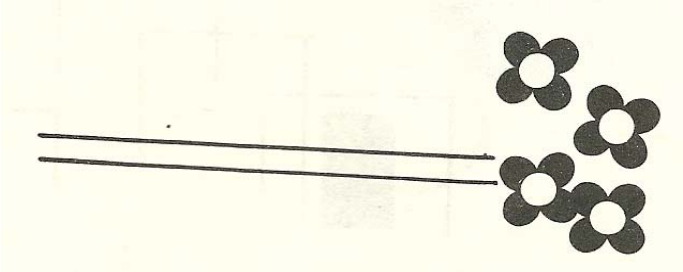

بيروت ـ ومضةُ شهوتينْ

بيروت ـ ما قال الفتى لفتاتهِ

والبحرُ يسمعُ، أَو يوزَّعُ صوتَهُ بين اليدينْ.

أنا لا أحبكِ

غمِّسي بدمي زهورَكِ وانثريها

حول طائرةٍ تطاردُ عاشقينْ

والبحرُ يسمعُ، أَو يوزِّع صوتَهُ بين اليدينْ.

وأَنا أُحبكِ

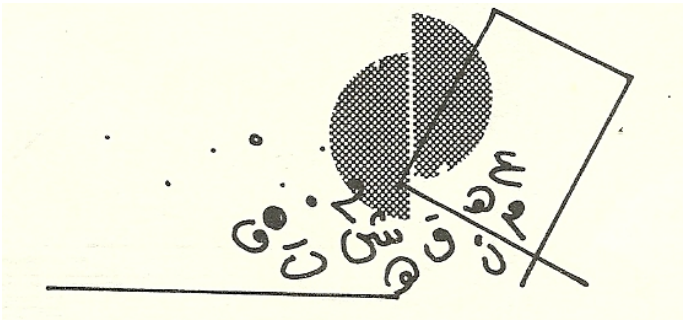

غَمِّسي بدمي زهوركِ وانثريها

بيروت لا تعطي لتأخذَ

أَنت بيروتُ التي تعطي لتعطي ثم تسأم من ذراعيها ،

ومن شَبَق المُحِبْ

فبأيِّ إمرأةٍ سأُومنْ

وبأيِّ شُبَّاك سأُومنْ

مَن تُزَوِّجني ضفائرَها لأشنق رغبتي

وأَموت كالأُمم القديمة. كم سَنَهْ

أغريتني بالمشي نحو بلاديَ الأولى

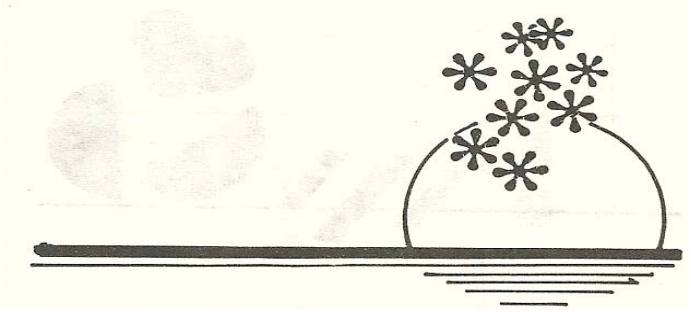

وبالطيران تحت سمائيَ الأولى

وباسمك كنتُ أَرفعُ خيمتي للهاربين من التجارة والدعارة

والحضارة. كَمْ سَنَهْ

كُنَّا نَرُشُّ على ضحايانا كلام البرقِ:

بعد هُنَيْهَةٍ سنكون ما كنا وما سنكونُ

إمَّا أن نكون نهارك العالي

وإمَّا أن نعود إلى البحيرات القديمة. كَم سَنَهْ

لم تسمعيني جَيِّداً. لم تردعيني جيداً. لم تحرميني من فواكِهكِ

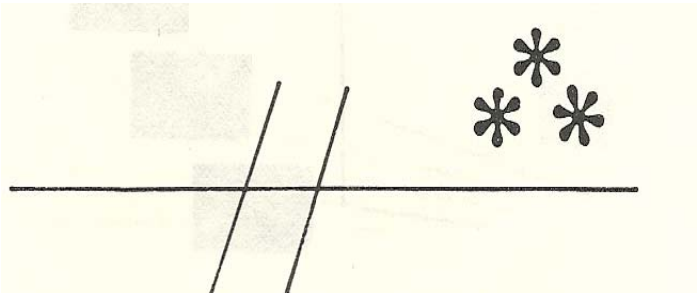

الجميلةِ. لم تقولي: حين يبتسم المخيَّمُ تعبس المدن الكبيرة.

كم سَنَهْ

قلنا معاً: أنا لا أَشاءُ، ولا تشائين. اتفقنا. كُلُّنا في البحر

ماءٌ. كم سَنَهْ

كانت تُنَظِّمنا يَدُ الفوضى:

تعبنا من نظامِ الغازِ،

من مطرِ الأنابيبِ الرتيبِ،

ومن صعودِ الكهرباءِ إلى الغُرَفْ..

حريتي فوضاي. إني أَعترفْ

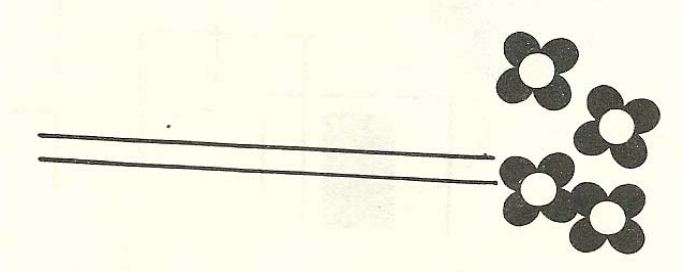

وسأعترفْ

بجميع أَخطائي، وما أَترفَ الفؤادُ من الأماني

ليس من حَقِّ العصافير الغناءُ على سرير النائمين،

والإيديولوجيا مهنة البوليس في الدول القويةِ:

من نظام الرقِّ في روما

إلى مَنْعِ الكحولِ وآفةِ الأحزاب في ليبيا الحديثةِ.

كَمْ سَنَهْ

نحن البدايةُ والبدايةُ والبدايةُ. كم سَنَهْ

وأَنا التَوَازُنُ بين ما يجبُ؟

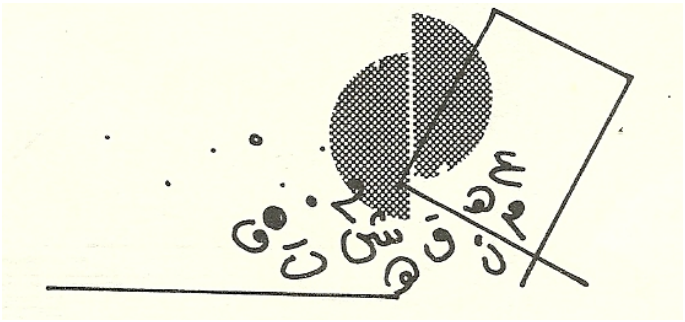

كُنَّا هناكَ. ومن هنا ستهاجر العَرَبُ

لعقيدةٍ أُخرى. وتغتربُ

قَصَبٌ هياكلنا

وعروشنا قَصَبٌ

في كُلِّ مئذَنةٍ

حاوٍ، ومغتصبُ

يدعو لأندلس

إنّ حُوصرتْ حَلَبُ.

وأَنا التوازُنُ بين مَنْ جاؤوا ومن ذهبوا

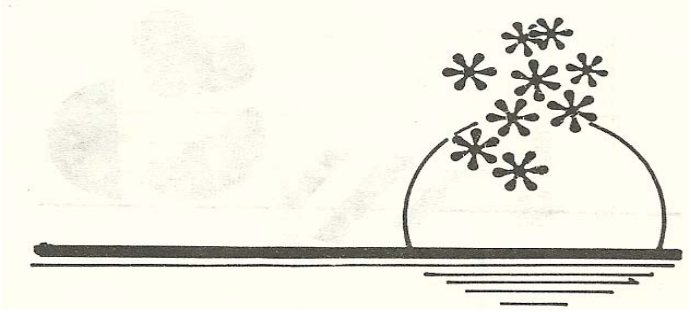

وأَنا التوازُنُ بينَ مَنْ سَلَبُوا وَمَنْ سُلِبوا

وأَنا التوازُنُ بينَ مَنْ صَمَدُوا وَمَنْ هربوا

وأَنا التوازُنُ بينَ ما يَجِبُ:

يجب الذهابُ إلى اليسارْ

يجبُ التوغُلُّ في اليمينْ

يجبُ التمترُس في الوسطْ

يجبُ الدفاعُ عن الغلطْ

يجبُ التشكُك بالمسارْ

يجبُ الخروجُ من اليقينْ

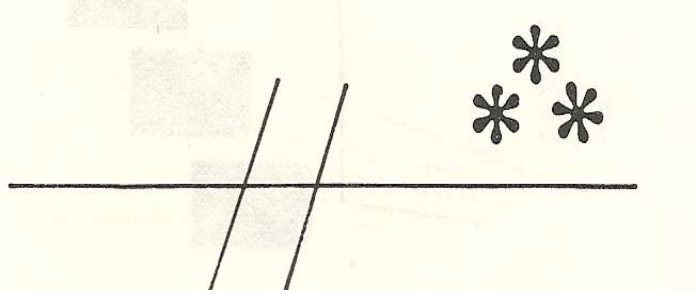

يجبُ الذي يجبُ

يجبُ انهيار الأنظمهُ

يجبُ انتظار المحكمةْ

.. وأنا أُحبك، سوف أَحتاج الحقيقةَ عندما أَحتاج تصليح

الخرائط والخططْ

أحتاجُ ما يجبُ

يجبُ الذي يجبُ

أدعو لأندلسٍ

إن حُوصرتْ حَلَبُ.

*

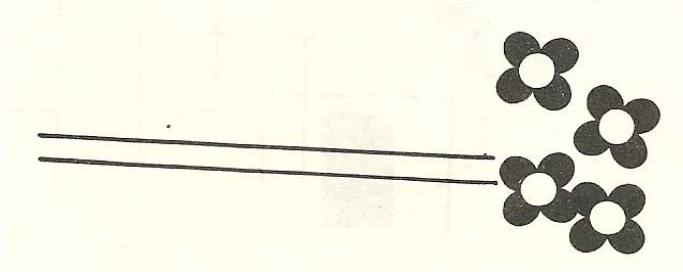

بيروت/ فجراً:

يُطلق البحرُ الرصاصَ على النوافِذ. يفتح العصفورُ أُغنيةً مبكرةً. يُطيّرُ جارنا رَفَّ الحمام إلى الدخانِ. يموت مَنْ لا يستطيع الركض في الطرقات: قلبي قطعة من برتقال يابسٍ. أهدي إلى جاري الجريدةَ كي يفتِّش عن أقاربه. أُعزِّيه غداً. أَمشي لأبحث عن كنوز الماء في قبو البنايةِ. أَشتهي جسداً يضيءُ البارَ والغاباتِ. يا "جيم" اقتليني واقتليني واقتليني!

يدخل الطيران أفكاري ويقصفها..

فيقتلُ تسعَ عشرةَ طفلةً.

يتوقف العصفور عن إنشاده..

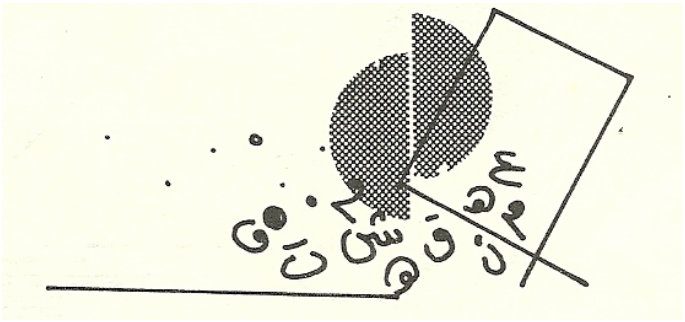

عاديَّةٌ ساعتنا ـ عاديَّةٌ،

لولا صهيل الجنس في ساقيك يا "جيم" الجنونْ.

والموتُ يأتينا بكل سلاحه الجويِّ والبريِّ والبحريِّ.

ألفُ قذيفةٍ أُخرى ولا يتقدم الأعداء شبراً واحداً.

"جيم" اجمعيني مرةً،

ما زلتُ حيّاً ـ ألفُ شكرٍ للمصادفةِ السعيدة.

يبذل الرؤساء جهداً عند أمريكا لتُفْرِجَ عن مياه الشرب.

كيف سنغسل الموتى؟

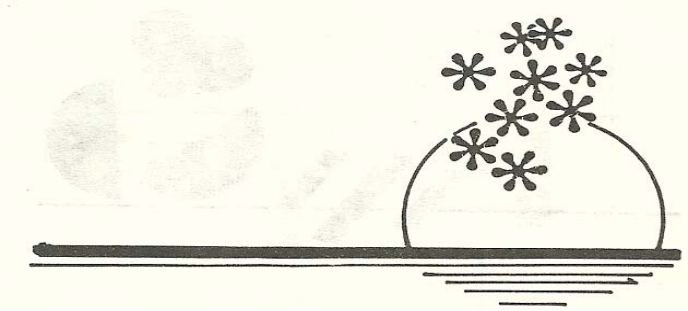

ويسأل صاحبي: وإذا استجابت للضغوطِ فهل سيسفر موتنا عن:

دولةٍ..

أَم خيمةٍ؟

قلتُ: انتظرٍ! لا فرق بين الرايتينْ

قلت: انتظر حتى تصب الطائراتُ جحيمها!

يا فجرَ بيروتَ الطويلا

عَدِّلْ قليلا

عَجِّلْ قليلا

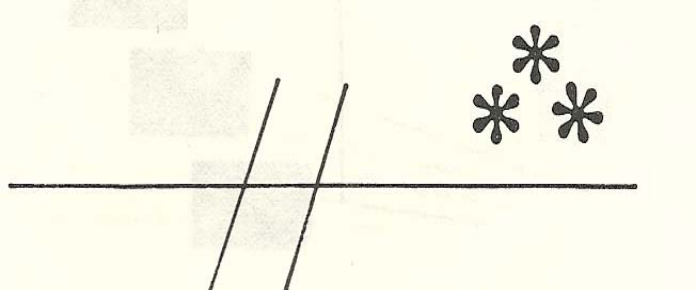

عَجِّلْ لأعرفَ جيِّداً:

إن كنتُ حيّاً أم قتيلا.

*

بيروت/ ظهراً:

يستمرُّ الفجرُ منذ الفجرِ.

تتكسر السماءُ على رغيف الخبزِ.

يَنكسر الهواءُ على رؤوسِ الناسِ من عبءِ الدخانِ ولا جديد

لدى العروبةِ:

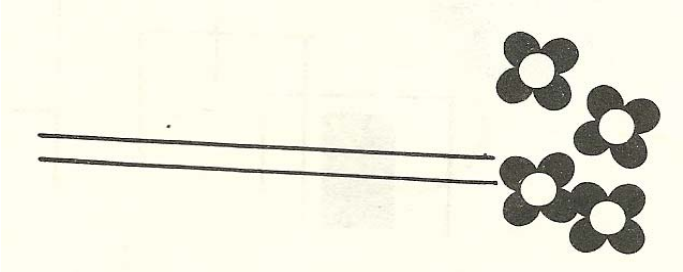

بعد شهرٍ يلتقي كُلُّ الملوكِ بكل أنواعِ الملوكِ، من العقيدِ إلى الشهيد، ليبحثوا خطر اليهود على وجودِ اللّهِ. أمّا الآن فالأحوال هادئة تماماً مثلما كانت. وإن الموتَ يأتينا بكل سلاحه الجويِّ والبريِّ والبحريِّ. مليون انفجار في المدينة.

هيروشيما هيروشيما

وحدنا نُصغي إلى رعد الحجارة، هيروشيما

وحدنا نُصغي لما في الروحِ من عبثٍ ومن جدوى

وأمريكا على الأسوارِ تهدي كل طفل لعبةً للموتِ عنقوديَّةً

يا هيروشيما العاشقِ العربيُّ أمريكا هي الطاعون، والطاعونُ أمريكا

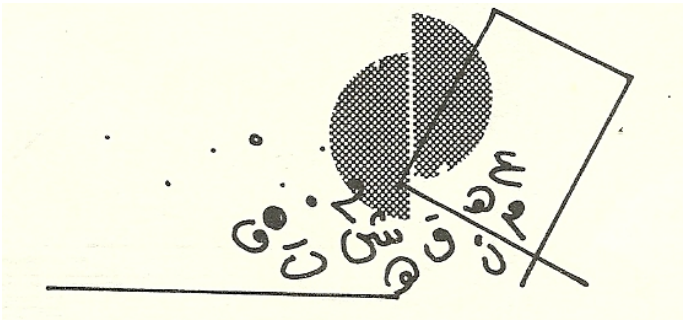

نعسنا. أَيقظتنا الطائرات وصوتُ أَمريكا

وأمريكا لأمريكا

وهذا الأفق اسمنتٌ لوحشِ الجوِّ.

نفتحُ علبةَ السردين، تقصفها المدافعُ

نحتمي بسيارةِ الشباك، تهتز البناية. تقفزُ الأبوابُ. أَمريكا

وراء الباب أمريكا

ونمشي في الشوارعِ باحثين عن السلامة،

من سيدفننا إذ متنا؟

عرايا نحن، لا أفقٌ يُغَطينا ولا قبرٌ يوارينا

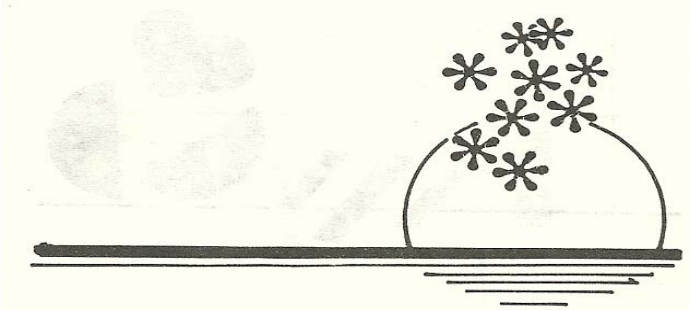

ويا.. يا يومَ بيروتَ المكسَّرَ في الظهيرهْ

عَجِّلْ قليلاً

عَجِّلْ لنعرفَ أَينَ صَرْخَتُنا الأخيرهْ.

*

بيروت/ عصراً:

تكثر الحشراتُ.

تزدادُ الرطوبةُ.

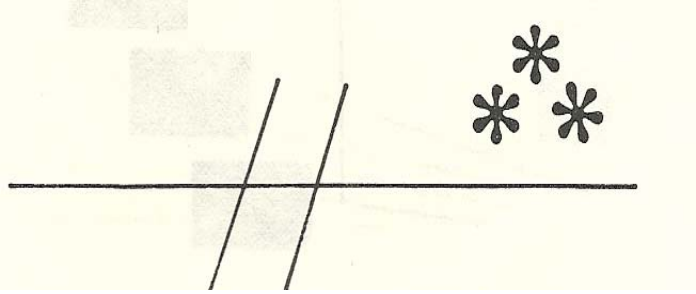

ترتخي العضلاتُ

نشعر أن للأرض احتقاناً في مفاصلنا ،

فنصرخ: أيها البطل انكسِرْ فينا!

*

مساء/ فوق بيروت:

الرخامُ

ينزُّ دماً ، ويذبحني الحمامُ

إلى مَنْ أَرفعُ الكلماتِ سَقفاً

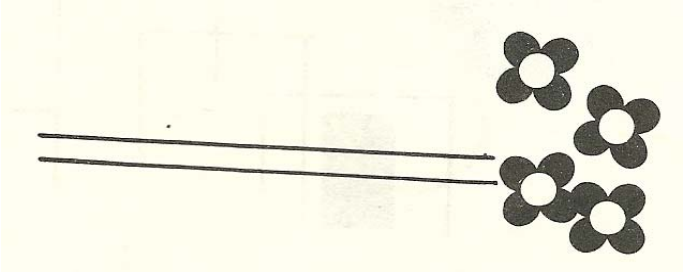

وهذي الأرضُ يحملُها الغمامُ
ويرحل، حين يرحلُ، نحو تيهي
أُحدِّقُ في المسدَّس، وهو ملقى
عن طَرَفِ السرير، وأَشتهيهِ
وينقذني، وينقذني الكلامُ.
ظلامٌ كُلُّ ما حولي.. ظلامُ.

*

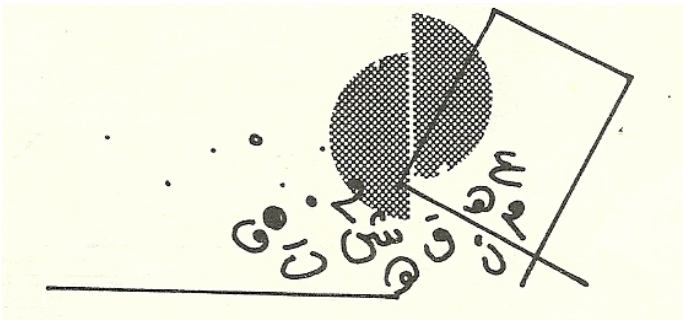

بيروت/ ليلاً:

لا ظلامَ أشَدَّ من هذا الظلامِ

يُضيئني قَتْلي.

أَمنْ حَجَرٍ يُقدُّون النُّعاسَ؟

أَمِنْ مزاميرٍ يصكُّون السلاحَ؟

ضحيَّةٌ

قَتَلتْ

ضحيَّتها

وكانت لي هويَّتُها ،

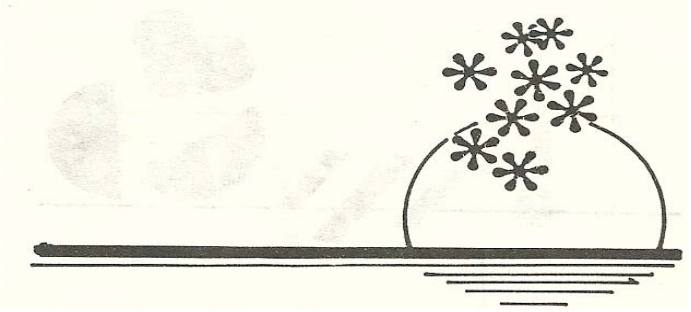

أُنادي أشعيا: أخرج من الكتب القديمة مثلما خرجوا. أزقّةُ
أورشليم تُعَلِّقُ اللحم الفلسطينيَّ فوق مطالع العهد القديم،
وتدَّعي أن الضحيَّة لم تُغيِّر جلدها.
يا أشعيا... لا تَرْثِ
بل أُهْجُ المدينةَ كي أُحبك مَرَّتين
وأعلنَ التقوى
وأغفر لليهوديِّ الصبيِّ بكاءه..
اختلطتْ شخوصُ المسرح الدمويّ:
لا قاضٍ سوى القتلى

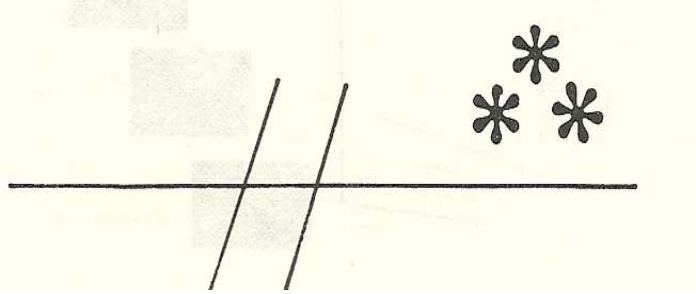

وكفُ القاتل امتزجَتْ بأقوال الشهودِ،

وأُدخل القتلى إلى ملكوت قاتلهم

وتمَّت رشوةُ القاضي فأعطى وجهه للقاتل الباكي على شيء

يُحَيِّرُنا..

سَرَقْتَ دموعنا يا ذئب

تقتلني وتدخل جُثَّتي وتبيعها!

أُخرجْ قليلاً من دمي حتى يراك الليلُ أكثَر حُلْكَةً!

واخرجْ لكي نمشي لمائدة التفاوض، واضحينْ،

كما الحقيقة:

قاتلاً يُدلي بسكِّينٍ.

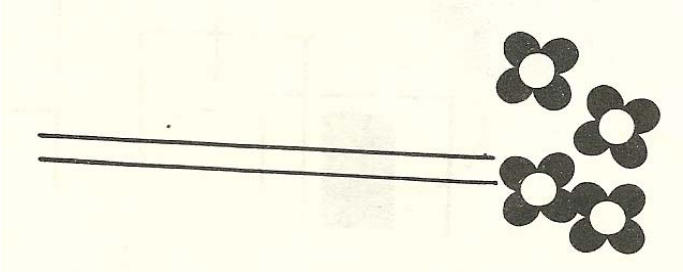

وقتلى

يدلون بالأسماء:

صبرا،

كفر قاسم،

دير ياسين،

شاتيلا!

*

بيروت/ ليلاً:

لا تنامي كُلَّ هذا الليلِ

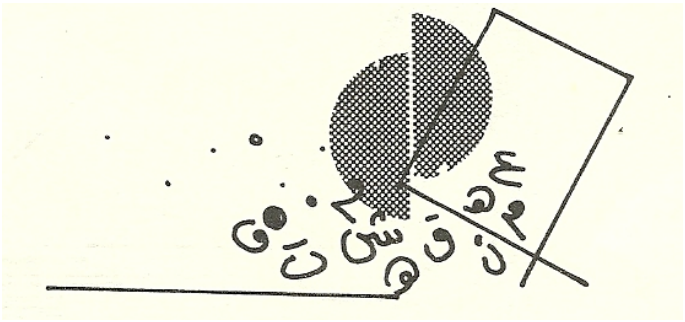

لا تتحدَّثي عمّا يدور وراء هذا البابِ

لا ترمي ثيابك

لا تُعَرِّيني تماماً

لا تقولي الحبَّ

لا تعطي سوى فخذيكِ

لا تتأوهي فالحرب تسمع زهرة الجسديْنِ.

إني أرتديك على الشظية قربَ باب البيت،

نبقى واقفين، وواقفين إلى النهايةِ.

واصلي سرقات هذا الشهْد،

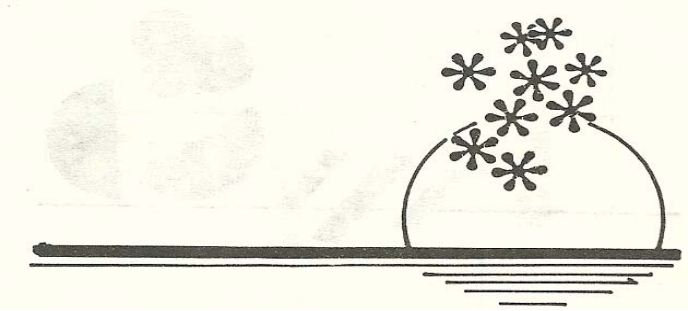

زُجِّيني بشهوتك السريعة قبلما يأتي إلينا موتُنا الخلفيُّ،
إني أُوثِرُ الموتَ الذي يأتي إلى كتفيَّ.. نحلاً!

*

بيروت/ ليلاً:
مثل باذنجانةٍ..
قمرٌ غبيٌّ مَرَّ فوق الحربِ
لم يركبْ له الأطفالُ خيلاً.

*

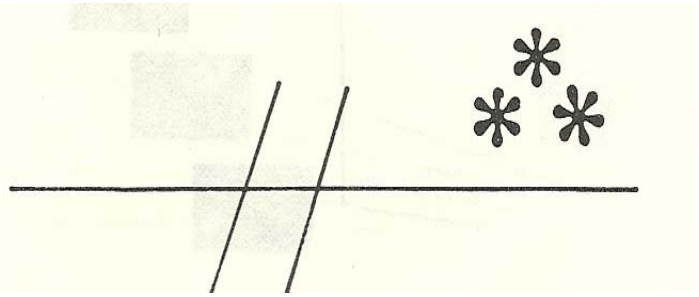

بيروت/ ليلاً:
أُمْسِك الآنَ الهواء الأسودَ الصخريَّ،
أكسره بأسناني، أَعضُّ عليه. أُدميه. وأَركلُهُ
أكاد أُجَنُّ مما يجعلُ الساعات.. رملاً.

*

بيروت/ ليلاً:
قالت امرأةُ لجنديٍّ قبيحِ الوجهِ:
خذني للرُّكامِ وفُضِّني
لأصير.. أحلى.

*

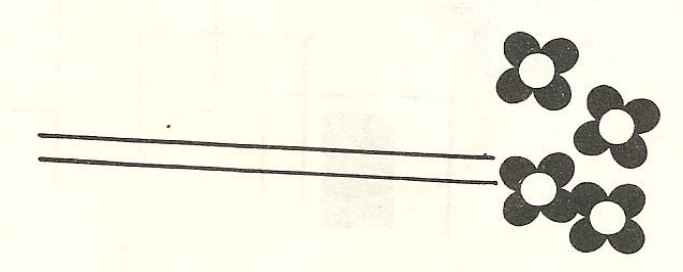

بيروت/ ليلاً:

لم أجد فيك الخليَّةَ والجزيرةَ

أينَ ماتَ الشعر!

أين استسلمتِ للزوجِ ليلى؟

*

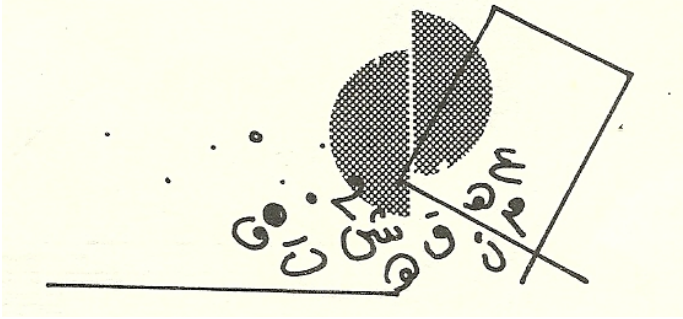

بيروت/ ليلاً:

يقصفون مقابر الشهداء، يدثّرون بالفولاذ، يضطجعون مَعْ فتياتهم، يتزوجون، يطلّقون، يسافرون، ويولدون، ويعملون، ويقطعون العمر في دبّابةٍ..

أهلاً وسهلاً!

*

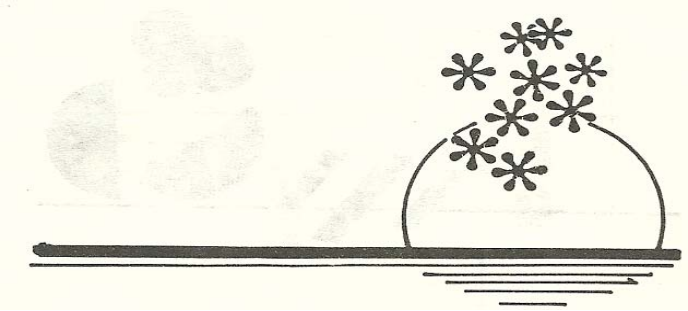

بيروت/ ليلاً:

يخرج الشهداء من أشجارهم، يتفقَّدون صغارهم، يتجولون

على السواحل،

يرصدون الحلم والرؤيا، يُغطُّون السماء بفائض الألوان،

يفترشون موقعهم،

يُسَمُّون الجزيرةَ، يغسلون الماء، ثم يطرِّزون حصارنا

قططاً.. ونخلا.

*

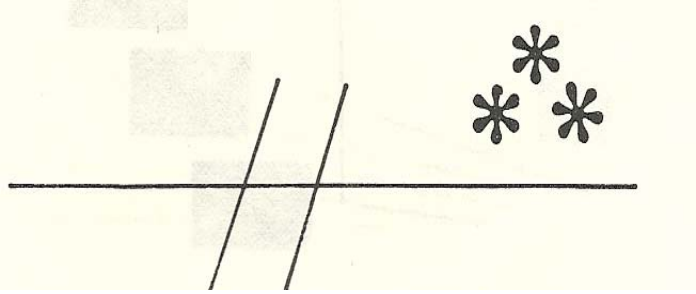

بيروت/ ليلاً:

وحدنا، واللّهُ فينا وحدنا

اللّه فينا قد تجلّى!

*

بيروت/ ليلاً:

يمدح الشعراء قَتْلي في مجالسهم،

ويرتعدون مني حين أطلع بينهم صوتاً وظِلا.

*

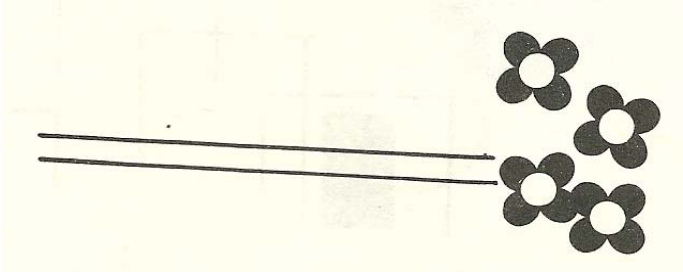

بيروت/ ليلاً:

آهٍ، يا أفقاً تبدَّى

من حذاءِ مقاتلٍ

لا تنغلقْ

لا تنغَلِقْ أَبداً

لئلاّ..

*

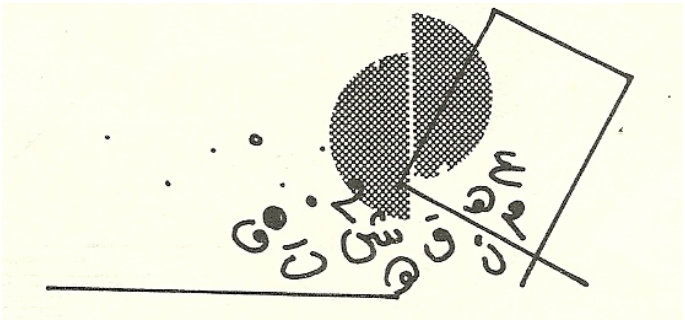

بيروت/ ظهراً:

اليوم يَنْشَقُّ الحصانْ.

اليوم ينشَقُّ الحصانُ إلى نهاريْنِ،

المدينةُ والقصيدةُ تخرجان

من خصر أَجملنا ، سميرْ درويشْ،

ليحتفل المكانْ

بنا.. وينسبنا إلى أحَدْ

ليعطي العائِلَهْ

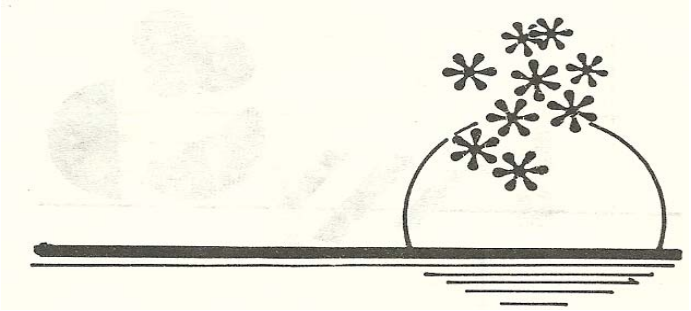

شجراً وأَسماءً..
أتعرفُ مَنْ أنا حتى تموت نيابةً عنِّي؟
ستمضي القافِلَهْ
جازاكَ ربُّكَ.. سوف تمضي القافِلَهْ
لا ، ليس شعراً أن ترى قمراً ينَقّطُ خارطهُ
لا ، ليس شعراً أن ترتِّب ذكرياتي الساقطَهْ
فانهض على فَرَسِ الدُّخانْ
وارحلْ معي، من أجلِ أُمِّكْ..

*

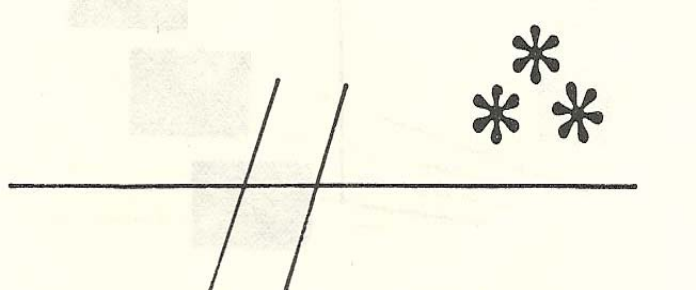

بيروت/ عصراً:

زَمَنٌ مضى

لكنه لا ينتهي

*

بيروت/ فجراً:

الشَاعرُ افتُضِحَتْ قصيدتُهُ تماما

وثلاثةٌ خانوه:

تموزٌ

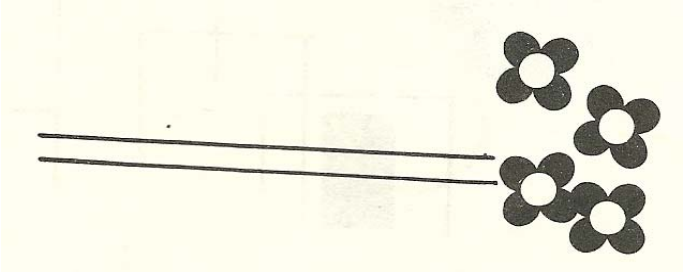

وامرأةٌ

وإيقاعٌ

فَنَاما..

لا يستطيع الصوتُ أن يعلو على الغارات في هذا المدى

لكنهُ يُصغي لموجتِهِ الخصوصيَّهْ.

موتٌ وحريَّهْ

يصغي لموجتِه ويفتحُ وقتَهُ لجنونِهِ

من حقِّه أن يُجلس السأمَ الملازمَ فوق مائدةٍ

ويشرب قهوةً مَعَهُ

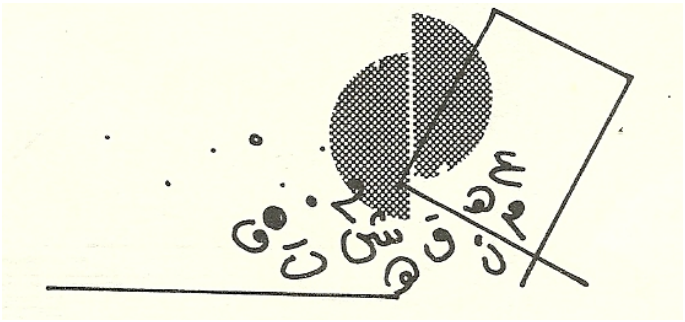

إذا ابتعد الندامى

الشاعرُ افْتُضِحَتْ قصيدتُهُ تماماً

بيروتُ تخرجُ من قصيدتِهِ

وتدخل خوذةَ المُحتلِّ،

مَن يُعطيه دهشتَه

ومَنْ يرمي على يَدِهِ

أَرُزَّاً أو.. سلاماً.

الشاعرُ افْتُضِحَتْ قصيدتُهُ تماماً.

في بيتهِ بارودةٌ للصَّيْدِ،

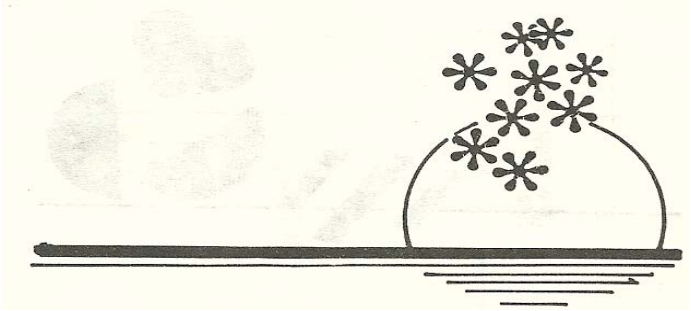

في أَضلاعه طَيْرٌ

وفي الأشجارِ عُقُمٌ مالحُ.

لم يشهدِ الفصلَ الأخيرَ من المدينةِ.

كُلُّ شيءٍ واضحٌ منذ البدايةِ،

واضحٌ

أو واضحٌ

أو واضحٌ.

وخليلُ حاويْ لا يريد الموتَ، رُغْماً عنهُ

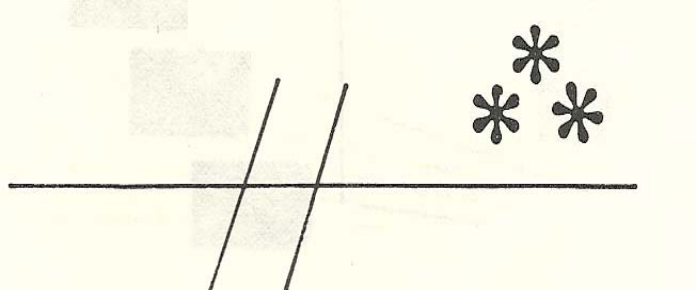

يُصغي لموجِتِهِ الخصوصيَّهْ
موتٌ وحريَّهْ
هو لا يريد الموتَ رغماً عنهُ
فليفتحْ قصيدتَهُ
ويذهبْ..
قبلَ أن يُغريه تموزٌ، وامرأةٌ، وإيقاعٌ
.. وناما
الشاعرُ افْتُضِحَتْ قصيدتهُ تماما.

*

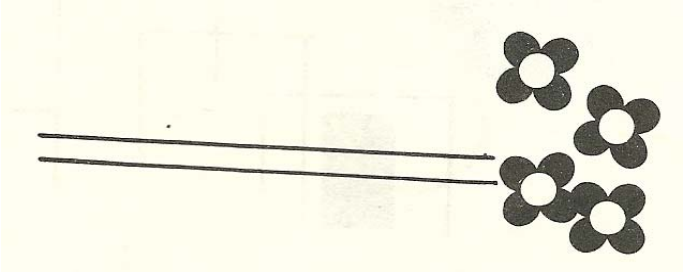

بيروت/ فجراً

بيروت/ ظهراً

بيروت/ ليلاً:

يخرج الفاشيُّ من جسدِ الضحيَّهْ

يرتدي فصلاً من التلمود: أُقْتُلْ ـ كي تكونْ

عشرين قرناً كانَ ينتظرُ الجنونْ

عشرين قرناً كان سفّاحاً مُعَمَّمْ

عشرين قرناً كان يبكي.. كان يبكي

كان يخفي سيفَهُ في دمعَتِهْ

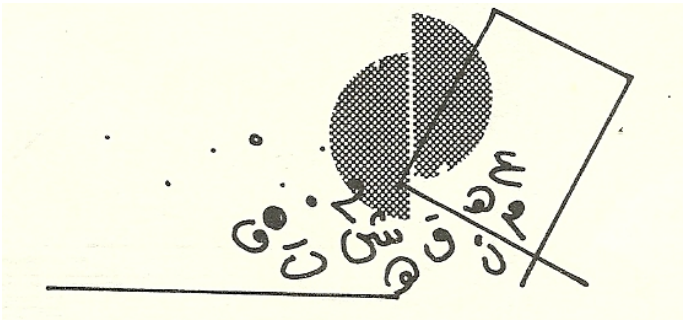

أو كان يحشو بالدموع البندقيَّهْ

عشرين قرناً كان ينتظر الفلسطينيَّ في طرف المخيَّمْ

عشرين قرناً كان يعلَمْ

آن البكاءَ سلاحُهُ

صبرا ـ فتاةٌ نائمهْ

رحل الرجالُ إلى الرحيلْ

والحرب نامت ليلتين صغيرتين،

وقدَّمَتْ بيروتُ طاعتها وصارتْ عاصمَهْ..

ليلٌ طويلٌ

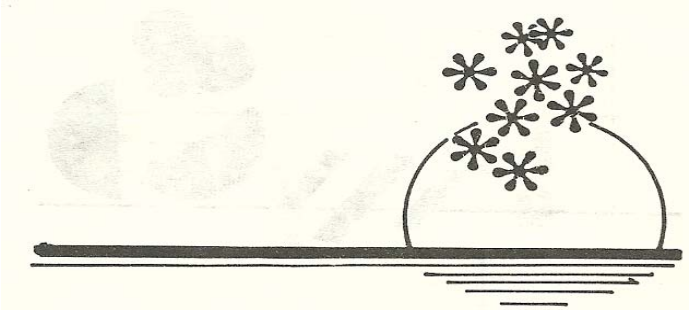

يرصدُ الأحلامَ في صبرا ،

وصبرا ـ نائمهْ.

صبرا ـ بقايا الكفِّ في جسدٍ قتيلٍ

ودَّعتْ فرسانها وزمانها

واستسلمتْ للنومِ من تعبٍ، ومن عَرَبٍ رَمَوْها خلفهم.

صبرا ـ وما ينسى الجنودُ الراحلون من الجليلِ

لا تشتري وتبيعُ إلاَّ صمتها

من أجل وردٍ للضَّفيرهْ

صبرا ـ تغني نصفَها المفقودَ بين البحرِ والحربِ الأخيرهْ

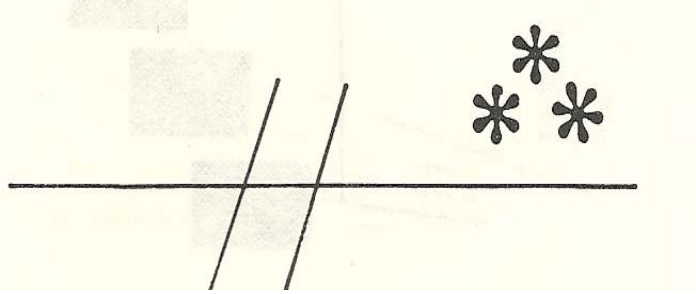

لمَ ترحلونَ

وتتركون نساءَكم في بطنِ ليلٍ من حديدِ؟

لمَ ترحلونْ

وتعلّقون مَسَاءَكُمْ

فوق المخيَّم والنشيدِ؟

صبرا ـ تُغَطّي صدرها العاري بأُغنية الوداعْ

وتَعُدُّ كفَّيها وتخطئُ

حين لا تجد الذراعْ:

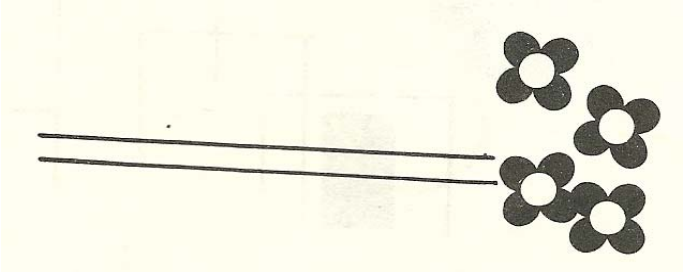

كَمْ مرةً ستُسافرونْ
وإلى متى ستُسافرونْ
ولأيِّ حُلْمْ؟
وإذا رجعتم ذات يومْ
فلأيِّ منفى ترجعونَ،
لأيِّ منفى ترجعونْ؟

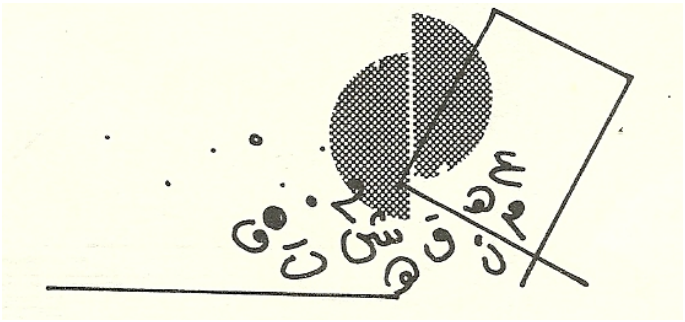

صبرا ـ تُمَزِّق صدرها المكشوفَ:

كم مَرَّهْ

تتفتَّحُ الزهرهْ

كم مَرَّةً

ستُسافر الثورهْ؟

صبرا ـ تخافُ الليل. تسندهُ لرُكْبتها

تغطيهِ بكحلِ عيونها. تبكي لتُلْهيهِ:

رحلوا وما قالوا

شيئاً عن العودهْ

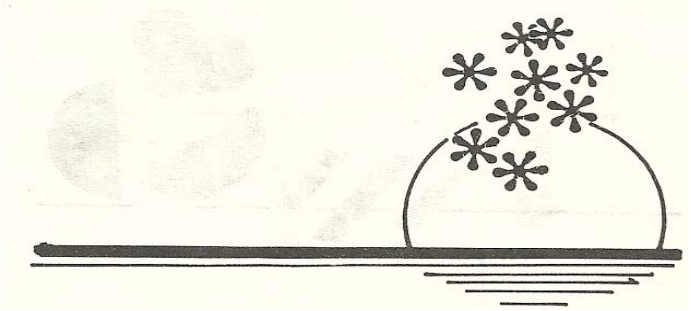

ذَبلوا وما مالوا

عن جمرةِ الوردهْ!

عادوا وما عادوا

لبداية الرحلْة

والعمرُ أَولادُ

هربوا من القُبْلَهْ.

لا ، ليس لي منفى

لأَقول: لي وطنُ

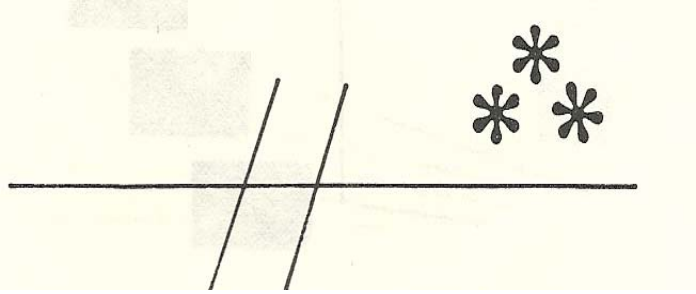

أَللّٰهُ، يا زَمَنُ..!

صبرا ـ تنامُ. وخنجرُ الفاشيِّ يصحو

صبرا تنادي.. مَنْ تنادي

كُلُّ هذا الليلِ لي، والليلُ ملحُ

يقطع الفاشيُّ ثدييها ـ يقلُّ الليلُ ـ

يرقص حول خنجرهِ ويلْعَقُهُ. يغني لانتصار الأَرْزِ موالاً،

ويمحو

في هدوءٍ.. في هدوءٍ لحمَها عن عَظْمِها

ويمدِّدُ الأعضاءَ فوق الطاولَهْ

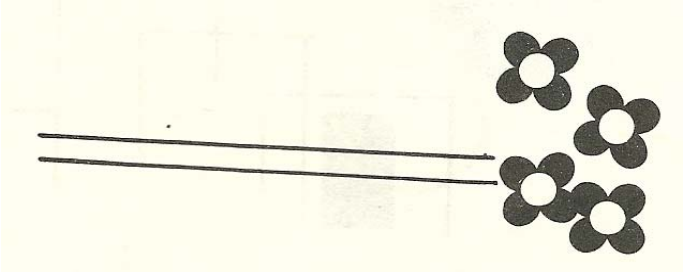

ويواصل الفاشي رقصَتَهُ ويضحك للعيون المائلَهْ

ويُجَنُّ من فرحٍ، وصبرا لم تعد جسداً:

يُرَكِّبها كما شاءتْ غرائزهُ، وتصنعها مشيئتهُ.

ويسرق خاتماً من لحمها، ويعودُ من دمها إلى تلمودِهِ:

ويكون ـ بحرُ

ويكون ـ برُّ

ويكون ـ غيمُ

ويكون ـ دَمْ

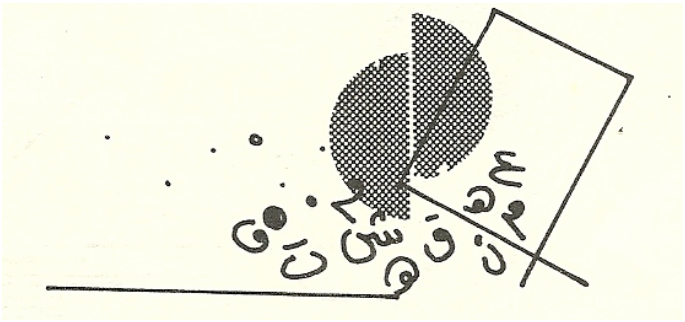

ويكون ـ ليلُ

ويكون ـ قتلُ

ويكون ـ سبتُ

وتكون ـ صبرا.

صبرا ـ تقاطُعُ شارعيْنِ على جَسَدْ

صبرا ـ نزولُ الروحِ في حَجَرٍ

وصبرا ـ لا أحدْ

صبرا ـ هوية عصرنا حتى الأبدْ...

*

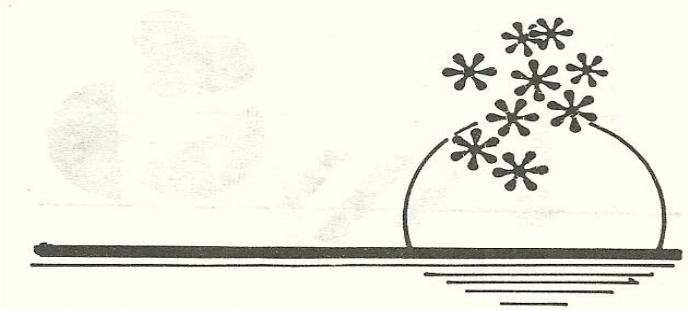

بيروت /أمسِ/ الآنَ/ بعدَ غدٍ:

نشيدٌ للخريفِ

صُوَرٌ لما بعد النهارْ

وظلالُ امرأةٍ غريبهْ.

وطني حقيبهْ

وحقيبتي وطني

ولكن... لا رصيفَ،

ولا جدارْ.

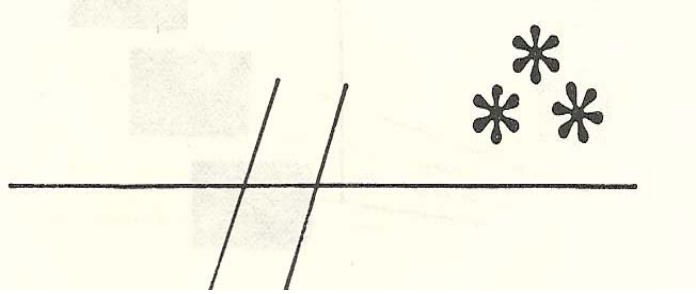

لا أرضَ تحتي كي أموتَ كما أشاءُ،

ولا سماءْ

حولي

لأثقبَها وأدخلَ في خيام الأنبياءْ.

ظهري إلى الحائطْ

الحائطِ/ الساقطْ!

وطني حقيبةْ

وحقيبتي وَطَنُ الغَجَرْ

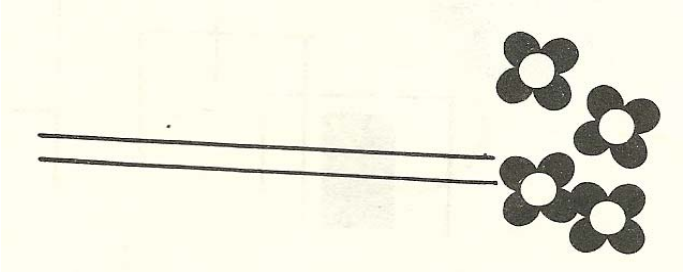

شعبٌ يُخَيِّمُ في الأغاني والدخانْ
شعبٌ يُفَتِّشُ عن مكانْ
بين الشظايا والمطرْ.

وجهي على الزهرهْ
الزهرة/ الجمرهْ
وطني حقيبهْ
في الليل أفرشها سريراً
وأنامُ فيها ،

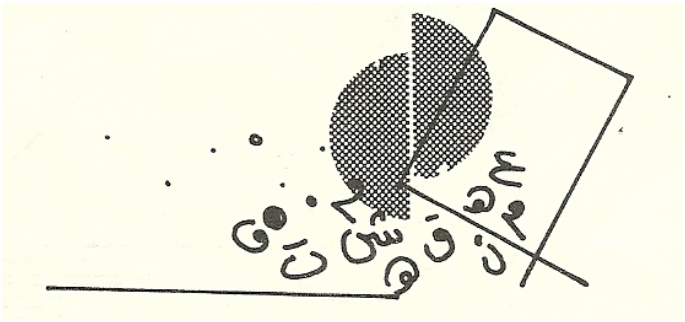

أخدعُ الفتياتِ فيها
أدفن الأحباب فيها
أرتضيها لي مصيراً
وأموتُ فيها.

كَفِّي على النجمهْ
النجمةِ/الخيمهْ
وطني حقيبهْ

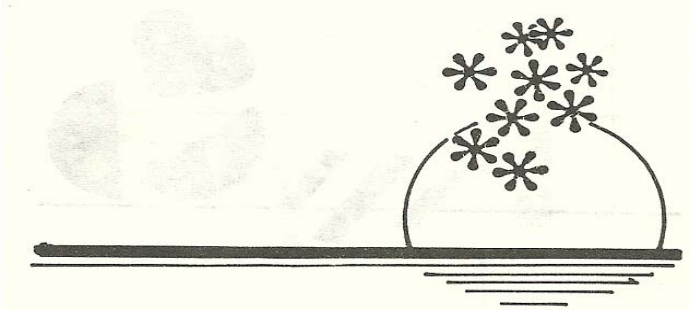

من جلدِ أحبابي

وأندلسَ القريبهْ

وطني على كتفي

بقايا الأرضِ في جسدِ العروبَهْ.

قلبي على الصخرهْ

الصخرةِ/الحرَّهْ.

يا أهلَ لبنانَ... الوداعا

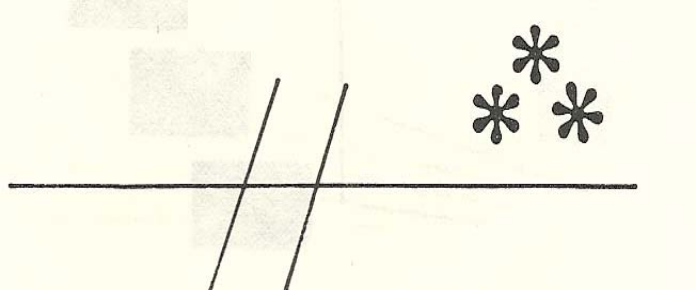

شكراً لكُلِّ شجيرةٍ حَمَلَتْ دمي

لتضيءَ للفقراءِ عيدَ الخبزِ،

أو لتضيء للمحتلِ وجهي كي يرى وجهي

ويرتديَ الخداعا.

شكراً لكُلِّ سحابةٍ غَطَّتْ يديَّ

وَبَلَّلَتْ شفتيَّ،

حتى أعطت الأعداء باباً... أو قناعا.

شكراً لكُلِّ مُسَدَّسٍ غطَّى رحيلي

بالأرُزِّ وبالزهور،

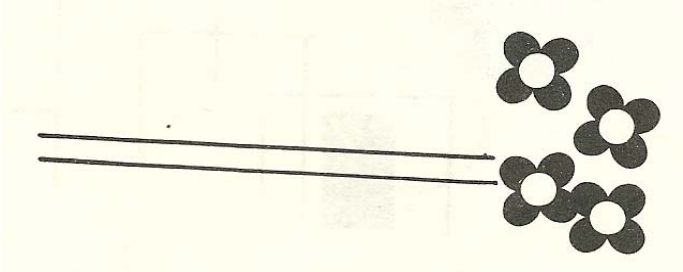

وكان يبكي أو يزغرد ما استطاعا.

يا دمعةً هي ما تبقّى من بلادٍ

أُسندُ الذكرى عليها... والشُّعاعا.

يا أهلَ لبنانَ الوداعا!

اليوم أكملتُ الرسالةَ فانشروني، إن أردتم، في القبائلِ توبةً

أو ذكرياتٍ

أوْ شراعا.

اليومَ أكملتُ الرسالةَ فِيكُمُ

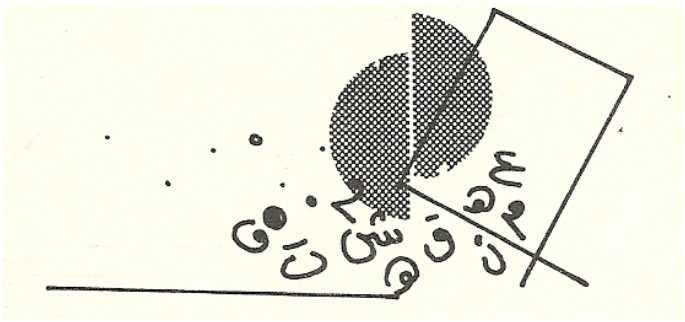

فلتطفئوا لهبي، إذا شئتم، عن الدنيا،

وإنْ شئتمْ فزيدوهُ اندلاعا

أنا لي، كما شاءتْ خطايَ

حملتُ روحي فوق أيديكم فراشاتٍ،

وجسمي نرجساً فيكمْ،

وموتايَ اندفاعا

يا أَهْلَ لبنانَ... الوداعا.

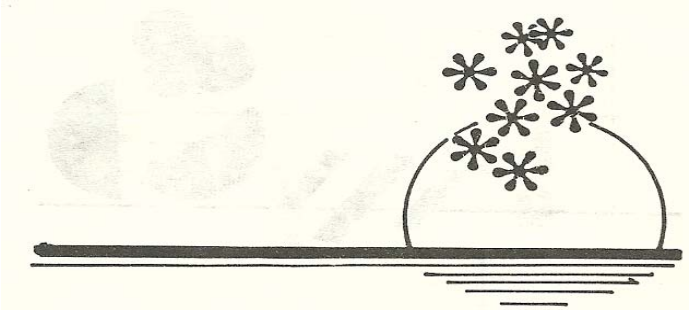

هذا دمي، يا أهْلَ لبنان، ارسموهْ
قمراً على ليلِ العَرَبْ.
هذا دمي ـ دمُكم خذوه ووزّعوهْ
شجراً على رمل العربْ.
هذا رحيلي عن نوافذكم وعن قلبي انحتوهْ
حجراً على قبرِ العربْ
هذا بكاء رصاصنا، هذا يتيم زواجنا، فلترفعوهْ
سهراً على عُرس العربْ.
هذا نسيجي. مزِّقُوه وبعثروهْ

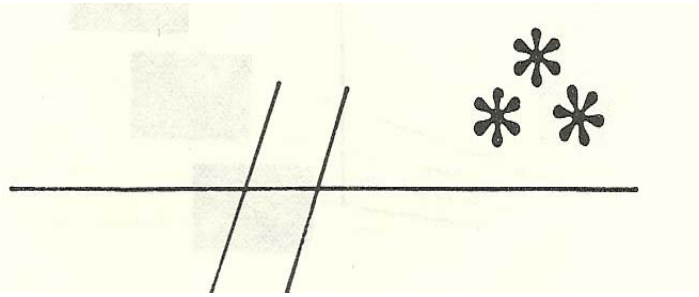

مطراً على أرضِ العربْ.

هذا خروج أصابعي من كفِّكمْ

هذا فطام قصيدتي، فَلْتكتبوهْ

وتراً على طَرَب العربْ.

هذا غبار طريقنا، فلترفعوهْ

لهمو حصوناً، أو قلاعاً، أو ذراعا.

يا أهْلَ لبنانَ الوداعا.

سيجيئكم مَطَرٌ

ويغسلُ ما تركتُ على شوارعكم من الكلمات،

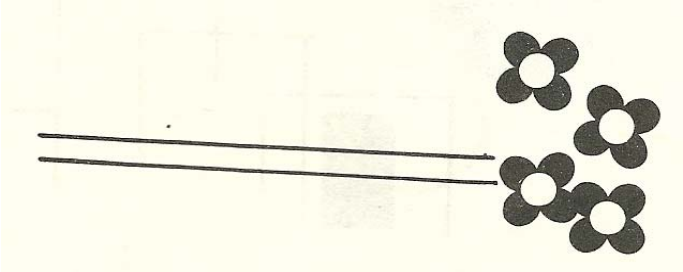

يطردُ ما تركتُ على نوافذكم من الشهوات.
يمحو ما لَمَسْتُ من الصَّنوبرِ في جبالِكُمُ
وينسيكمْ فتىً كسرَ الهواءَ على موائدكم قليلاً،
أو أضاع يديهِ في أيديكم سَنَةً، وضاعا.
يا أهْلَ لبنانَ... الوداعا.

حدَّقتُ في كَفِّي
لأُبصرَ ما وراء البحرِ.
تلك وسيلتي لتَبَصُّرِ الأشياءِ.

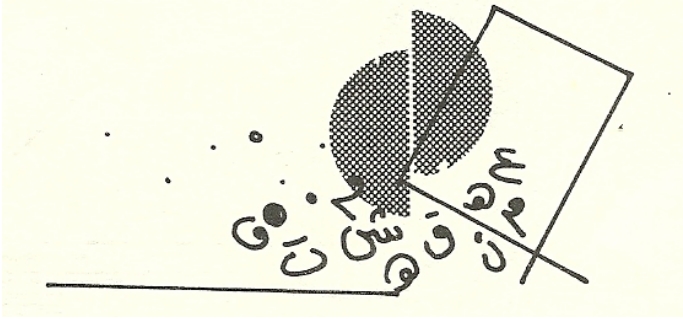

بحرٌ، ثم بحرٌ، ثم بحرٌ

مَنْ رآني

عَدَّ أكفاني

وغطي جرحكم كي تشتري جبلاً

ويبتاعَ الصراعا.

يا أهْلَ لبنانَ.. الوداعا.

لا جوعَ في روحي،

أكلتُ من الرغيف الفذِّ ما يكفي المسيرَ إلى نهايات الجهات.

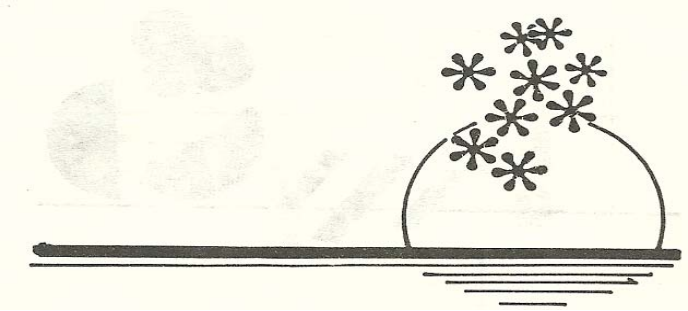

عشاؤكم ليس الأخيرَ

وليس فينا من تراجَعَ، أو تتابعَ، أو تداعى.

يا أهْلَ لبنان... الوداعا.

جَسَدانِ في تابوتِ هذا الشرق نحنُ

يزوِّدان المزوَدَ المنسيَّ بالصرخاتِ،

نحن بشارة الميلادِ نحنُ

وصورتانِ لخطوةٍ قد حاولتْ

قد حاولتْ

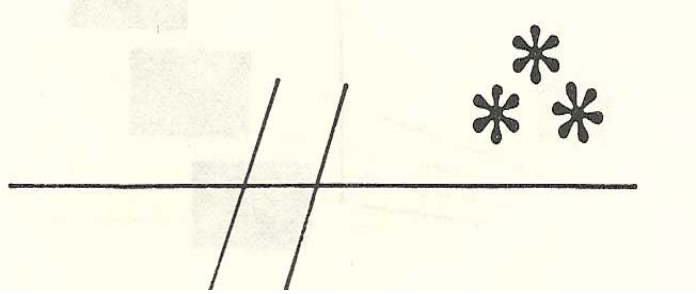

قد حاولتْ

أنْ تَهْديَ الشرقَ المَشَاعا.

يا أهْلَ لبنانَ... الوداعا.

إسمان للتوحيد نحنُ:

على مشيئتنا أردنا أن نكونَ

ولا يكونَ الناسُ في الدنيا متاعا.

يا أهْلَ لبنانَ... الوداعا.

والآن، أكملنا رسالتنا

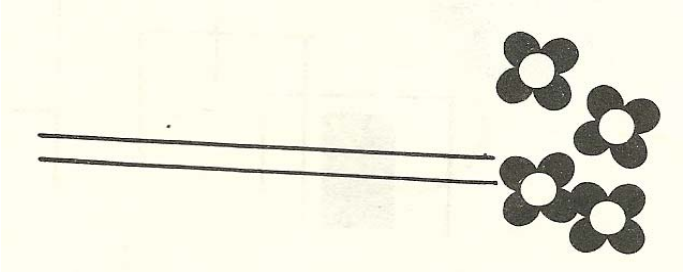

إذْ اتَّحدَ الشقيقُ مع العدوِّ

لم نجد أرضاً نُصَوِّب فوقها

دَمَنا

ونرفعه قلاعا.

يا أهْلَ لبنانَ... الوداعا.

*

اليوم إنجيلُ السوادْ،

اليومَ تابَتْ مريمٌ عن توبةِ التوباتِ وارتفع الحدادْ

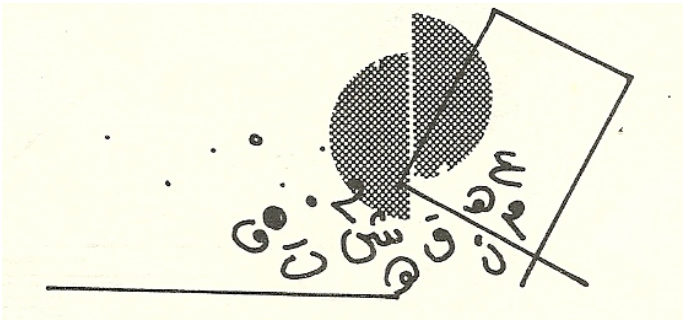

إلى جبين الله

واختفتِ الملائكةُ الصغيرةُ

في أكاليلِ الرمادْ...

*

والبحرُ أبيضُ

هذه سُفني الأخيرهْ

ترسو على دمع المدينة، وهي ترفع رايتي،

لا رايةٌ بيضاء في بيروت

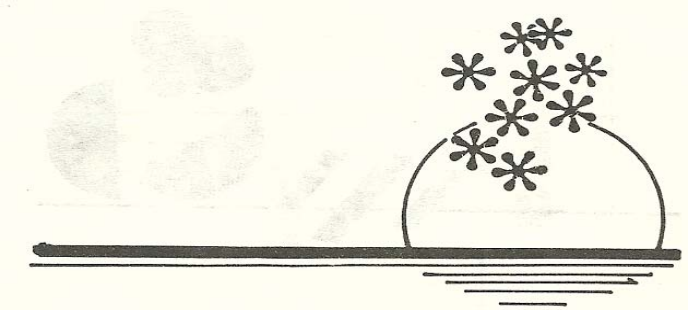

شكراً للذي يحمي المدينة من رحيلي
للَّتي مَدَّتْ ضفيرتها لتحملني إلى سفني الأخيرهْ
ـ أين تذهبُ؟
ليس لي بابٌ لأَفتحهُ لفارسيَ الأخيرْ
ـ والسبتُ أسودُ،
ليس لي قلبٌ لأَخلعَهُ على قدميكَ يا ولدي الصغيرْ
ـ أنا لا أُودِّع، بل أُوزِّع هذه الدنيا
على الزَّبد الأخيرْ
ـ وأين تذهبُ؟
أينما حَطَّتْ طيورُ البحرِ في البحرِ الكبيرْ.

*

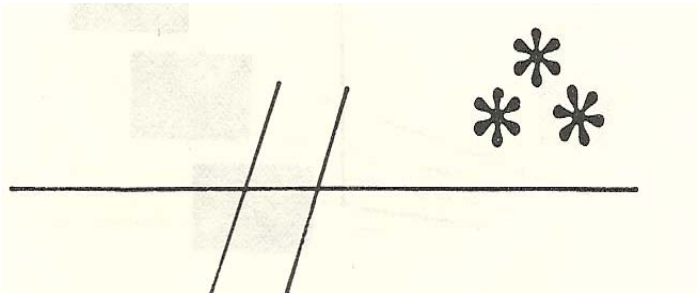

البحرُ دهشتنا، هشاشتُنا

وغربتُنا ولعبتُنا.

والبحرُ أرضُ ندائنا المستأصلَهْ

والبحرُ صُوْرَتُنَا

ومَنْ لا بَرَّ لَهْ

لا بَحْرَ لَهْ...

*

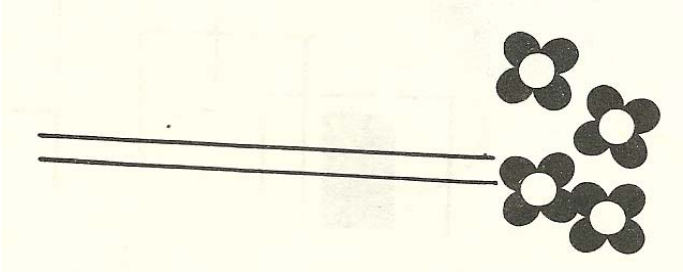

... بَحْرٌ أمامكَ، فيكَ، بحر من ورائكَ.

فوق هذا البحر بَحْرٌ، تحتهُ بَحْرٌ

وأنتَ نشيدُ هذا البحرِ...

كَمْ كنا نحبُ الأزرقَ الكحليَّ لولا ظلنا المكسور فوق البحرِ؛

كَمْ كنا نُعِدُّ لشهرِ أيلولَ الولائمَ.

ـ عَمَّ تبحث يا فتىً في زورق الأوديسةِ المكسورِ؟

ـ عن جيشٍ يحاربني ويهزمني فأنطق بالحقيقةِ ثم أسأل: هل أكونُ مدينةَ الشعراءِ يوماً؟

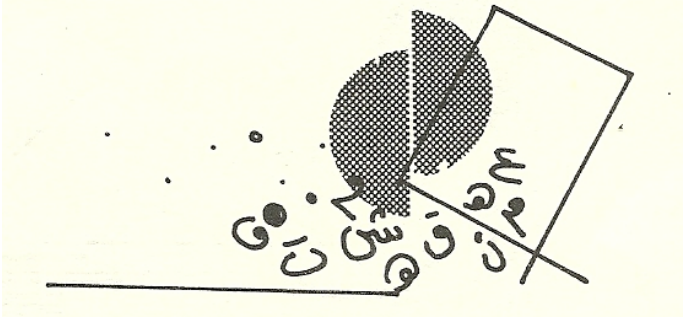

ـ عَمَّ تبحث يا فتىً في زورق الأوديسة المكسورِ؟

ـ عن جيش أُحاربهُ وأهزمهُ،

وعن جُزُرٍ تُسمِّيها فتوحاتي، وأسأل: هل تكون مدينةُ الشعراءِ وَهْمَا؟

ـ عَمَّ تبحث يا فتىً في زورق الأوديسةِ المكسورِ، عَمَّ؟

ـ عن موجةٍ ضيعتها في البحرِ

عن خاتَمْ

لأُسيِّجَ العالمْ

بحدود أُغنيتي

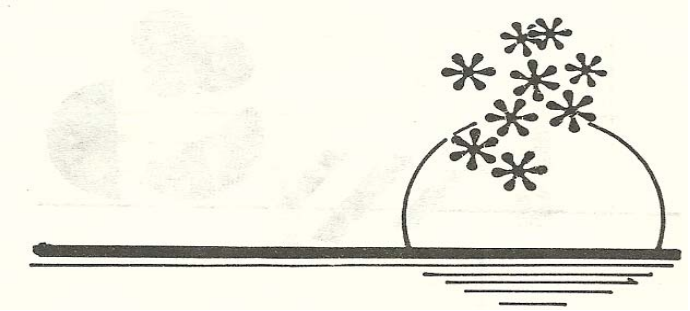

ـ وهل يجدُ المهاجر موجةً؟

ـ يجد المهاجر موجةً غرقتْ ويُرجعها مَعَهْ

بحر لتسكن، أم تضيعْ

بحر لأيلولَ الجديدِ أم الرجوع إلى الفصول الأربعَهْ

بحر أمامك، فيك، بحرٌ من ورائكَ.

تفتح الموجَ القديمَ: وُلدتُ قرب البحر من أمٍّ فلسطينيةٍ وأبٍ أراميٍّ. ومن أمٍّ فلسطينيةٍ وأبٍ مؤابيٍّ. ومن أمٍّ فلسطينيةٍ وأبٍ أشوريٍّ. ومن أمٍّ فلسطينيةٍ وأبٍ عروبيٍّ. ومن أمٍّ، ومن أُمٍّ... على حجر يُقَيِّدُ فوقه الرومانُ أسرى حربهم

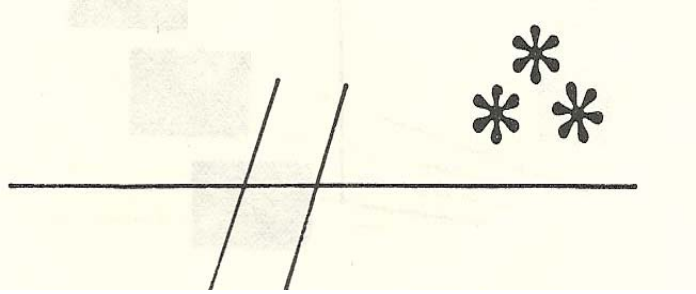

ويُحررون جمالهم مني...

أنا الحجر الذي شدَّ البحار إلى قُرون اليابسهْ

وأنا نبيُّ الأنبياءِ

وشاعرُ الشعراءِ

منذ رسائل المصريِّ في الوادي إلى أشلاء طفل في شاتيلا.

أنا أوَّلُ القتلى وآخر مَنْ يموتْ.

إنجيلُ أعدائي وتوراةُ الوصايا اليائسهْ

كُتِبَتْ على جسدي

أنا ألفٌ، وباءٌ في كتاب الرسم،

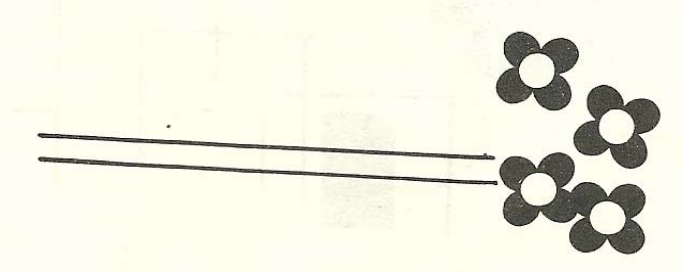

يشبهني ويقتلني سوايْ

كُلُّ الشعوب تعوَّدَتْ أن تدفن الموتى بأضلاعي

وتبنى معبداً فيها

وترحلُ عن ثرايْ

وأنا أضيقُ أمام مملكتي

وَتَتَّسِعُ الممالك فيَّ،

يسكنني ويقتلني سوايْ.

كلُّ الشعوب تزوَّجت أمي،

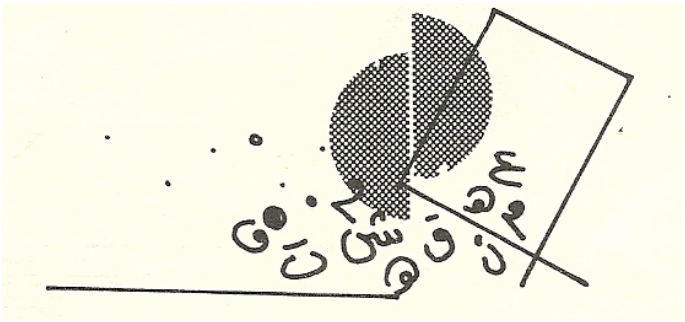

وأمي لم تكن إلاَّ لأمي

خصرها بحرٌ. ذراعاها سحابٌ يابسٌ

ونُعَاسُها مطرٌ ونايْ.

وأنا أفيض أمام أغنيتي

وتحبسني خناجرها

يؤاخيني ويقتلني سوايْ.

... وأنا نشيدُ البحرِ.

لا أرضى بما يرضي دَمَ الإغريقِ من ريحٍ تهبُّ لتنتهي المأساةُ

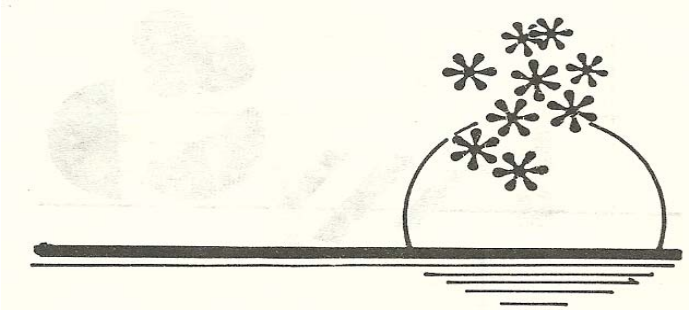

بالمأساة. قد ذبحوك كي يجدوك كرسيّاً فلا تجلسْ

لأنَّ جميع آلهتي كلابُ البحرِ

فاحذرها ولا تذهب إلى القُربانِ..

إن الريح واقفةٌ

فلا تلمسْ يدَ القرصانِ،

لا تصعد إلى تلك المعابدِ

لا تصدِّقْ

لا تصدِّقْ

فهي مذبحةٌ

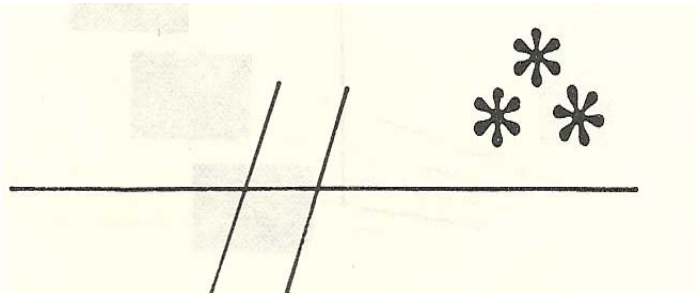

ولا تخمدْ هجيرك عندما يتقمَّص السجَّانُ شكل الكاهن

الرسميِّ،

إنَّ جميع آلهتي كلابُ البحرِ

فاحذرْها.

ودَعْ.. دَعْ كلَّ شيء واقفاً

دَعْ كُل ما ينهارُ منهاراً،

ولا تقرأ عليهم أيَّ شيءٍ من كتابكْ!..

والبحرُ أبيضُ

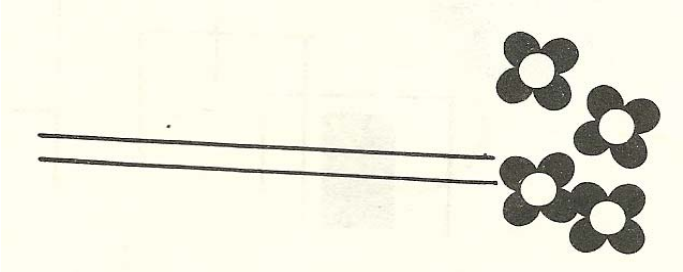

والسماءُ

قصيدتي بيضاءُ

والتمساحُ أبيضُ

والهواءُ

وفكرتي بيضاءُ

كلبُ البحر أبيضُ

كل شيء أبيضٌ:

بيضاءُ دهشتُنا

بيضاءُ ليلتُنا

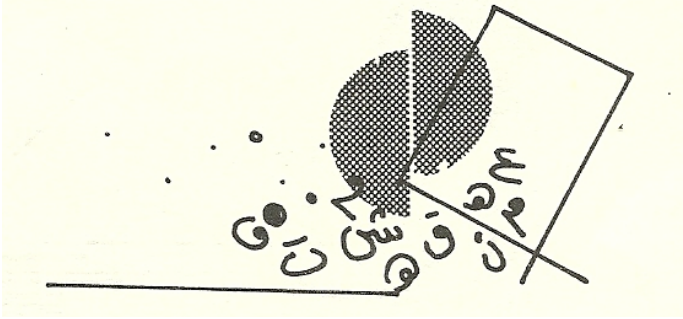

وخطوتنا

وهذا الكونُ أبيضُ

أصدقائي

والملائكةُ الصغارُ

وصورة الأعداءِ

أبيضُ، كل شيء صورةٌ بيضاءُ. هذا البحرُ، مِلء البحرِ،

أبيضُ..

*

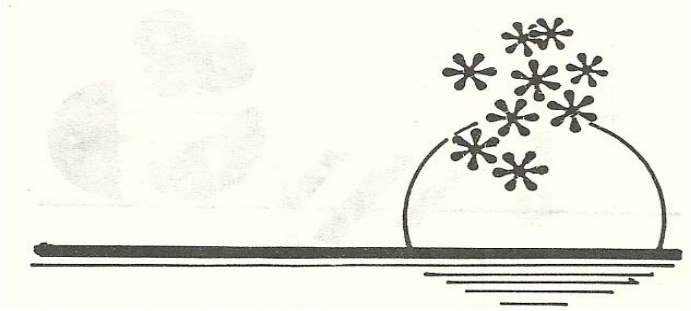

لستَ آدمَ كي أقول خرجتَ من بيروت منتصراً على الدنيا

ومنهزماً أمام الله.

أنت المسألَهْ

الأرضُ إعلانٌ على جدران هذا الكون،

حَبَّةُ سُمْسُمٍ، قتلاكَ

والباقي سدى

فاعطِ المدى

اسم العيونِ المهملَهْ

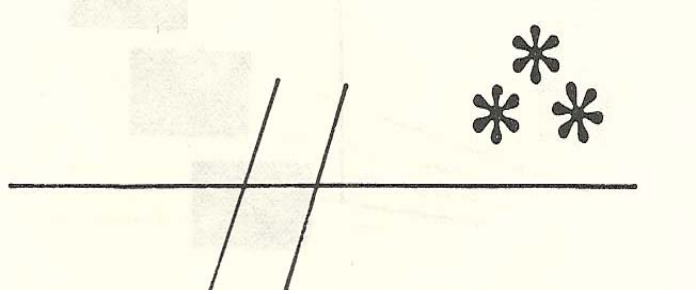

لك أن تكون ـ ولا تكونْ

لك أن تُكَوِّنْ

أو لا تُكَوِّنْ..

كل أسئلة الوجودِ وراء ظِلِّك مهزلَهْ.

والكونُ دفترك الصغيرُ،

وأنت خالقُهُ،

فدوِّن فيه فردوس البداية، يا أبي.

أو لا تُدَوِّنْ

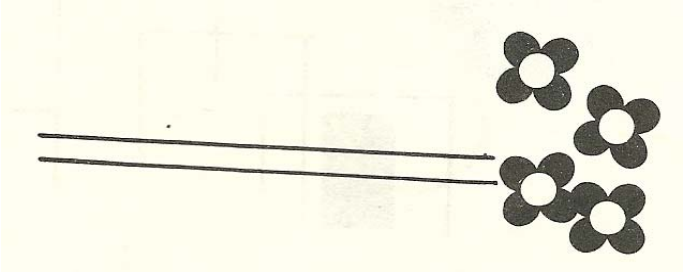

أنت... أنتَ المسألَهْ.

ماذا تريدُ؟

وأنت من أُسطورةٍ تمشي إلى أُسطورةٍ

عَلَمَاً؟

وماذا تنفع الأعلامُ..

هل حَمَتِ المدينَةَ من شظايا قنبُلَهْ؟.

ماذا تريدُ؟

جريدةً؟

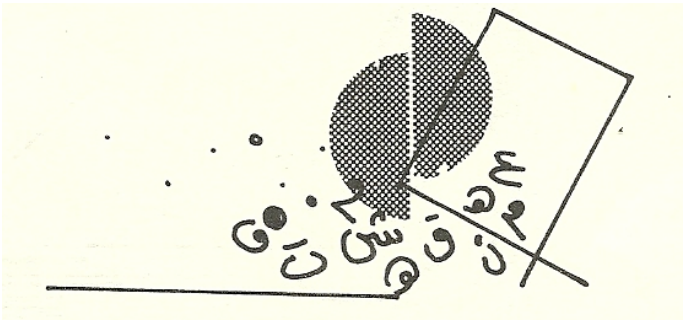

أتفقّسُ الأوراقُ دُوريّاً

وتغزلُ سنبُلَهْ؟

ماذا تريدُ؟

أَشْرِطَةً؟

هل يعرف البوليسُ أين ستحبل الأرضُ الصغيرةُ بالرياح

المُقْبِلَهْ؟

ماذا تريدُ؟

سيادةً فوق الرَمَادِ؟

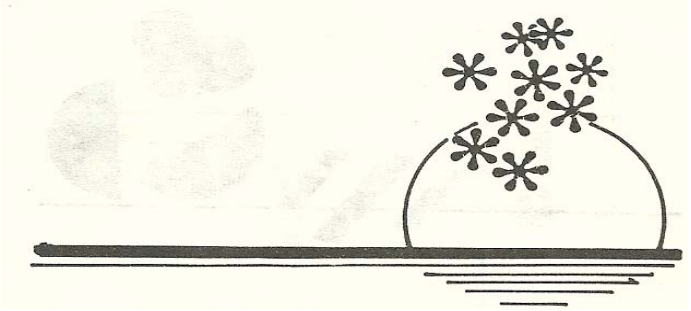

وأنت سَيِّدُ رُوحِنَا يا سَيِّد الكينونَةِ المتحوِّلَهْ.

فاذهب...

فليسَ لك المكانُ ولا العروش/المزبَلَهْ.

حُرّيَّةُ التكوين أنتَ

وخالقُ الطرقاتِ أنتَ

وأنت عكسُ المرحلَهْ.

واذهبْ فقيراً كالصلاةِ

وحافياً كالنهر في درب الحصى

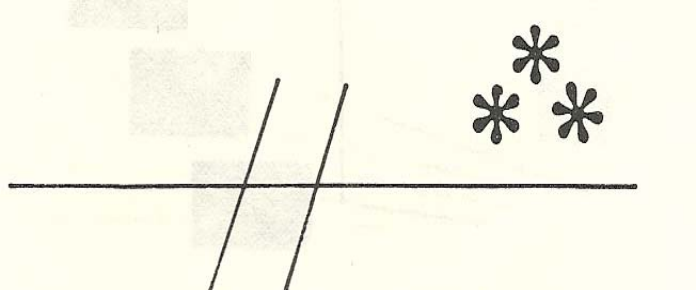

ومُؤَجَّلاً كقرنفُلَهْ.

لا ، لستَ آدم كي أقول خرجتَ من بيروت أو عَمَّانَ أو

يافا ، وأنت المسألَهْ

اذهب إليكَ، فأنتَ أوسعُ من بلاد الناسِ، أوسعُ من

فضاء المقصلَهْ

مستسلماً لصواب قلبكَ

تخلع المدنَ الكبيرةَ والسماءَ المُسْدَلَهْ

وتُشِيْدُ أرضاً تحت راحتك الصغيرةِ،

خيمةً

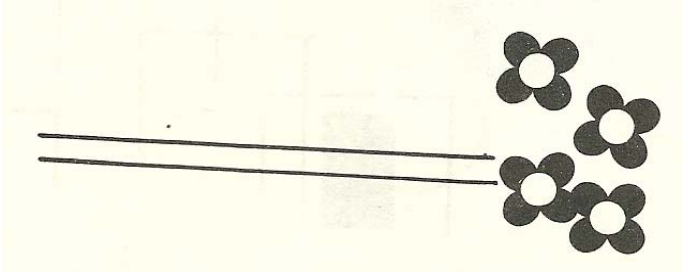

أو فكرةً

أو سنبلَهْ

كَمْ من نبيٍّ فيك جَرَّبَ

كَمْ تعذَّب كي يُرَتِّبَ هيكَلَهْ.

عبثاً تحاول يا أبي مُلْكَاً ومَمْلَكَةً

فَسِرْ للجُلْجُلَهْ

واصْعَدْ معي

لِنُعِيْدَ للروح المُشَرَّد أوَّلَهْ

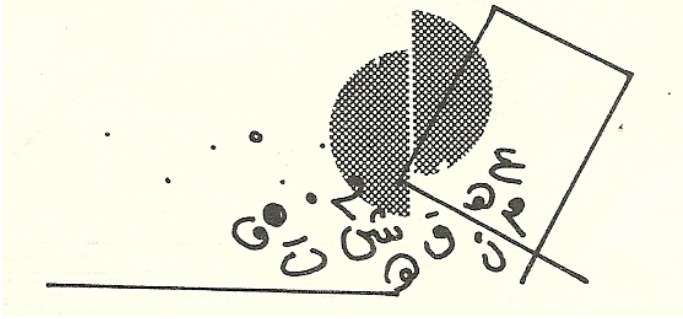

ماذا تُريد ، وأنت سَيِّدُ روحنا
يا سَيِّدَ الكينونة المتحوِّلَهْ؟
يا سَيِّدَ الجمرهْ
يا سَيِّدَ الشُّعْلَهْ
ما أوسع الثورهْ
ما أضيق الرحلَهْ
ما أكبَرَ الفكرهْ
ما أصغرَ الدولهْ!....

1982

إصدارات سلسلة
كتاب الجيب السابقة

م	عنوان الكتاب	تقديم الكتاب	اختيار الكتاب	سنة الكتاب
1	المقاومة مختارات قصصية	د. حسين جمعة	د. حسن حميد	2006
2	المقاومة مختارات شعرية	د. حسين جمعة	د. حسن حميد	2006
3	القصة القصيرة في سورية الرلحلون	د. حسين جمعة	د. حسن حميد	2006
4	علامة الشام أحمد راتب النفاخ	د. حسين جمعة	د. حسن حميد	2007
5	رفقة السلاح ... والقمر	د. حسين جمعة	د. حسن حميد	2007
6	صوت في الظلام قصص ايطالية	د. حسن حميد	د. حسن حميد	2007
7	الخرز الملون خمسة أيام في حياة نسرين حوري - رواية وثائقية	د. حسن حميد	د. حسن حميد	2007
8	الأديب - النص - الناقد / د. طه حسين ميخائيل نعيمة -فؤاد الشايب -د. محمود أمين العالم - بدر شاكر السياب	د. خالد البرادعي	د. حسن حميد	2007
9	ظاهرة (الأدب الصهيوني) / إطلالة على :(المصطلح النشأة الموضوعات)	محمد توفيق الصواف	محمد توفيق الصواف	2007
10	أبو خليل القباني رائد المسرح العربي	د. حسين جمعة	عبد القادر الحصني	2007
11	نازك الملائكة	د. حسين جمعة	عبد القادر الحصني	2007
12	الشاعر محمد الحريري مختارات	د. حسين جمعة	عبد القادر الحصني	2007
13	عبد الله عبد مختارات قصصية	د. حسين جمعة	د. حسن حميد	2007

م	عنوان الكتاب	تقديم الكتاب	اختيار الكتاب	سنة الكتاب
14	الإصلاحيون أحمد أمين	د. حسين جمعة	د. خالد محي الدين البرادعي	2007
15	مختارات من أدب الأطفال	د. حسين جمعة	عبد القادر الحصني	2008
16	يااليل ونصوص أخرى	د. حسين جمعة	عبد القادر الحصني	2008
17	وداعاً يا دمشق	د. حسين جمعة	عبد القادر الحصني	2008
18	ماري عجمي في مختارات من الشعر والنثر إصدار الرابطة النقافية النسائية في دمشق 1944م	د. حسين جمعة	عيسى فتوح	2008
19	إنصاف المرأة	د. حسين جمعة	عيسى فتوح	2008
20	أحب الشام -ناديا خوست	د. حسين جمعة	عبد القادر الحصني	2008
21	التراب الحزين بديع حقي	د. حسين جمعة	فادية غيبور	2008
22	القصيدة الدمشقية وقصائد أخرى- نزار قباني	د. حسين جمعة	فادية غيبور	2008
23	مختارات من نوح العندليب شفيق جبري	د. حسين جمعة	فادية غيبور	2008
24	مختارات من أعمال الأديبة غادة السمان	د. حسين جمعة	فادية غيبور	2008
25	مختارات قصصية للأديبة قمر كيلاني	د. حسين جمعة	فادية غيبور	2008
26	مقالات دمشق - مكان وسكان وألوان	د. حسين جمعة	فادية غيبور	2009
27	سميح القاسم - الصورة الأخيرة في الألبوم	د. حسن حميد	د. حسن حميد	2009
28	مقهى الباشورة -خليل السواحري	د. حسن حميد	د. حسن حميد	2009
29	جبرا ابراهيم جبرا- عرق وقصص أخرى	د. حسن حميد	د. حسن حميد	2009

م	عنوان الكتاب	تقديم الكتاب	اختيار الكتاب	سنة الكتاب
30	محمـود درويـش - مختـارات شعرية من دواوينه والانترنت	د. حسين جمعة	فاديا غيبور	2009
31	عائد إلى حيفا وأعمـال أخـرى- غسان كنفاني	د. حسين جمعة	فاديا غيبور	2009
32	عذبة رواية- صبحي فحماوي	د. حسين جمعة	فاديا غيبور	2009
33	حكاية الولد الفلسطيني 1971- أحمد دحبور	د. حسن حميد	د. حسن حميد	2009
34	أسـئلة الثقافـة فـي القـدس والمقاومة- مقالات- المتوكل طه	د. حسين جمعة	د. حسن حميد	2009
35	مختارات من شعر علي الجندي	د. حسين جمعة	محمد حمدان	2010
36	الجولان فـي القـصة الـسورية (حضور المكان)-علي المزعل	د. حسين جمعة	فاديا غيبور	2010
37	(الامريكي) أحمد رفيق عوض	د. حسن حميد	فاديا غيبور	2010
38	ملكوت البسطاء- رواية -خيري الذهبي	د. حسن حميد	فاديا غيبور	2010
39	مختارات قصصية رقـصة ليلـة الوداع - رشاد أبو شاور	د. حسن حميد	فاديا غيبور	2010
40	شفيق الكمـالي ـــ مختـارات شعرية زبير سلطان قدوري	زبيـر سـلطان قدوري	فاديا غيبور	2010
41	الأعلام الشعري في التراث العربي - أحمد سويلم	د. حسين جمعة	فاديا غيبور	2010
42	الظل الثالـث وقـصص أخـرى مختارات قصـصية - د. خليفـة صالح أحواس	د. حسين جمعة	فاديا غيبور	2010
43	بريجيت مأساة تمثيلية ذات خمسة فصول-يوسف نعمة الله جد	د. حسين جمعة	فاديا غيبور	2010
44	لدط ـ وان ـ شيخوف دراسـات ونصوص د. شاكر خصباك	د. ابـــراهيم الجرادي -عبـد العزيز المقالح	د. ابـــراهيم الجرادي -عبـد العزيز المقالح	2010
45	عبد الله البردوني قصائد مختـارة ودراسات	د. حسين جمعة	د. ابـــراهيم الجرادي	2011

م	عنوان الكتاب	تقديم الكتاب	اختيار الكتاب	سنة الكتاب
46	القصيدة تبحث عن نفسها (شعراء التـسعينيات والأنمـاط الـشعرية السائدة)	د. ابـــــراهيم الجرادي	د. ابـــــراهيم الجرادي	2011
47	مختارات من أدب الخيال العلمـي العربي - رقم 004 بأمركم	د. طالب عمران	د. طالب عمران	2011
48	الله والغريب مختـارات شـعرية سلامة عبيد	فؤاد الكحل	د. ثائرزين الدين	2011
49	مايلكوفسكي غيمة في سروال	مالك صفور	د. ابـــــراهيم الجرادي	2011
50	سليمان العيسى- اليـأس : أمـل يستنسخ أوصافه	د. ابـــــراهيم الجرادي	د. ابـــــراهيم الجرادي	2011
51	محمد الفرلني مـأخوذاً بـالوردة والسيف مختارات شعرية	د. حسين جمعة	شاهر امرير	2011
52	نزيه أبو عفش حارس الآلام	د. ابـــــراهيم الجرادي	د. ابـــــراهيم الجرادي	2011
53	الشاعر العربي الحديث مسرحياً	د. علـي جعفـر العلاق	د. ابـــــراهيم الجرادي	2011
54	حكم النبي محمد ليف تولستوي	مالك صفور	مالك صفور	2011
55	جـان جـاك روسـو المـصلح الاجتمـاعي - محمـد عطيـة الأبرشي	مالك صفور	مالك صفور	2012
56	بدر شاكر السياب- منزل الأقنان	مالك صفور	مالك صفور	2012
57	حـي بـن يقظـان لابـن طفيـل الأندلسي	د. جميل صليبا- د. كامل عياد	مالك صفور	2012
58	بدوي الجبـل (محمـد سـليمان الأحمـد) عـام 1968 مدحـة عكاش-	د. حسين جمعة	مالك صفور	2012

م	عنوان الكتاب	تقديم الكتاب	اختيار الكتاب	سنة الكتاب
59	ابن الرومي حياته من شعره ج1 عباس محمود العقاد	مالك صقور	مالك صقور	2012
60	ابن الرومي حياته من شعره ج2 عباس محمود العقاد	مالك صقور	مالك صقور	2012
61	كان ما كان - ميخائيل نعيمة	مالك صقور	مالك صقور	2012
62	إمرأة من برج الحمل - اعتـدال رافع	ماجدة حمود	ماجدة حمود	2012
63	من النكبة إلى المقاومة والتجديد	مالك صقور	مالك صقور	2012
64	الأعاصـير - الـشاعر الفـروي رشيد سليم الخوري	د. حسين جمعة	د. ثائرزين الدين	2012
65	عبـد اللطيـف عقـل دراسـات ومختارات	ياسين فاعور	ياسين فاعور	2012
66	حكيم الدهر أبو العلاء المعري	مالك صقور	مالك صقور	2012
67	الاصدار الأول للموقف الأدبي	مالك صقور	مالك صقور	2012
68	عبقريات العقاد (دراسة وتحليل)	مالك صقور	د. حسين جمعة	2013
69	الاشتراكية والأدب	مالك صقور	د. حسين جمعة	2013
70	رباعيات عمر الخيام	أ.د. حسين جمعة	مالك صقور	2013
71	طبـائع الاسـتبداد ومـصارع الاستعباد	أ.د. حسين جمعة	مالك صقور	2013
72	ليس لدى الكولونيل من يكاتبه		مالك صقور	2013
73	ما الشعر العظيم؟	د. نزار بريك هنيدي	د. حسين جمعة	2013
74	الشعر بين الفنون الجميلة	أ.د. حسين جمعة	مالك صقور	2013
75	الفقـه والتـصوف والمـسائل الشرعية في الخلافة	أ. محمـد رائـب الحلاق	مالك صقور	2013

م	عنوان الكتاب	تقديم الكتاب	اختيار الكتاب	سنة الكتاب
76	ّصالح العلي ثائراً وشاعراً	أ. د. حسين جمعة	مالك صقور	2013
77	أبو القاسم الشابي شاعر الشباب والحرية	أ.د. حسين جمعة	مالك صقور	2013
78	أنا من سلالة الصخور	د. نزار بني المرجة	مالك صقور	2013
79	الأديـــب والمفكـــر أبـــو حيـــان التوحيدي	د. نزار بني المرجة	مالك صقور	2013
80	الأدب للشعب	أ.د. حسين جمعة	مالك صقور	2014